قصيدة المديح النبوي في الشعر الاندلسي
من بدايه عصر الموحدين حتى سقوط غرناطه

رسالة تقدم بها

صديق بتال حوران العامرى

الى مجلس كلية التربيه / في جامعة الانبار
وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير
فى اللغة العربية وادابها

باشراف

الدكتوز انقاذ عطاالله محسن العاني

١٤١٧هـ

١٩٩٧م

قصيدة المديح النبوي في الشعر الأندلسي

من بداية عصر الموحدين حتى سقوط غرناطة

رسالة تقدم بها

صديق بتال جوران العامري

الى مجلس كلية التربية / في جامعة الانبار
وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية
وآدابها

باشراف

الدكتور انقاذ عطا الله محسن العاني

١٤١٧ هـ

١٩٩٧ م

الفهرست

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١ ـ ٤
التمهيد	٥ ـ ٢٤
الفصل الاول : شخصية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم من خلال قصيدة المديح النبوى	٢٣ ـ ٣٦
الفصل الثاني : عناصر قصيدة المديح النبوى	٣٧ ـ ٥٥
المعجزات	٣٨
التشوق الى اراضي الحجاز والضريح النبوى الشريف	٤٧
التبرك بالاثر النبوى (النعل النبوية)	٥٣
الفصل الثالث : انماط قصيدة المديح النبوى	٥٦ ـ ٧٣
النمط التقليدى	٥٧
الموشحات	٦٢
انماط اخرى	٦٦
الفصل الرابع : الخصائص الفنية	٧٤ ـ ١٠٤
اللغة والاسلوب	٧٥
الصورة الشعرية	٩١
الموسيقى	٩٩
الخاتمة	١٠٥ ـ ١٠٧
المصادر والمراجع	١٠٨ ـ ١١٩
الخلاصة باللغة الانكليزية	١ ـ ٤

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

اللهم لك الحمد كما ينبغي ، وعلى رسولك افضل الصلاة والتسليم وبعد ٠

فأن من اولى الركائز التي يقام عليها اي بحث هو ذلك الاحساس الصادق بأهمية التوجه نحو دراسته ، ولقد كان من اسباب اختياري لهذا الموضوع جملة امور ، يقف في مقدمتها ذلك الاحساس العظيم بقيمة هذا اللون من ادبنا العربي فضلا عن تلك الرغبة الامينة الصادقة بالاضافة جادة الى ميدان دراسة الادب الاندلسي ٠

ولايفوتني ان اذكر باعتزاز جهود الاجلاء الاساتذة الذين كان لهم فضل السبق في الاشارة الى هذا الموضوع او دراسة بعض نواحيه ٠ واذكر هنا جهد الدكتور حكمت علي الاوسي في دراسة بعض نواحي المديح النبوي بصورة موجزة في كتابه (الادب الاندلسي في عهد الموحدين) ولاانسى ان اذكر دراسة الدكتور محمد مجيد السعيد الموجزه لهذا اللون من الادب في كتابه (الشعر في عهد المرابطين والموحدين في الاندلس) ٠

غير ان الموضوع يبقى بحاجة ماسة الى دراسة اكاديمية مستقله تتقصى جوانبه وتحلل نماذجه وتدرس انجازاته ٠ ومن هنا كان اختياري لهذا الموضوع المبارك ليكون اسهامة جديده تكشف عن ادب ثر جميل ٠

لقد وزعت خطة البحث ، على تمهيد وفصول اربعة ٠

اما التمهيد فهو عرض موجز للعصر وظروفه السياسية والاجتماعية والادبية ، ودرست في التمهيد ايضا المدائح النبوية من حيث النشأة والبواعث .

اما الفصل الاول فقد اختص بدراسة شخصية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم من خلال قصيدة المديح النبوي مبينين ابرز الصفات والخصائص التي تميز بها عن بقية البشر من حيث سيرته وصفاته وسجاياه الكريمة .

اما الفصل الثاني فقد تناولنا فيه بدراسة تفصيلية اهم العناصر التي كونت قصيدة المديح النبوي عند الشعراء الاندلسيين ومن اهم تلك العناصر (المعجزات) (والتشوق الى الديار الحجازية) و(ذكر النعم النبوية) .

اما الفصل الثالث فقد اختص بدراسة انماط القصيدة المدحية ، ومن تلك الانماط (النمط التقليدي ، والموشح ، والمخمسات ، والمسدسات) وغيرها من الفنون كـ (المعشرات المزوميات) .

اما الفصل الرابع فقد خصص للدراسة الفنية ودرسنا فيه (اللغة والاسلوب) و(الموسيقى) و(الصورة الشعرية) . وقد ختمنا الدراسة بحصيلة ماخرجنا به من نتائج واستنتاجات تخص شعر المديح النبوي في هذين العصرين .

واخيرا اقول ان هذا البحث قد حاول جادا ان يقدم صورة جيدة للون من الوان الادب العربي تمازجت فيه انفاس العاطفة الدينية مع وهجات الفكر المتأمل ضمن اطار فني جميل . ولعل اساتذتي الاجلاء سيعذرونني فيما اكون قد قصرت فيه هنا او هناك وحسبي

اني حاولت جهدي في استغلال الامكانات التي اتيحت لي من مصادر ومراجع ، واسأل الله العلي القدير ان يكون قد هداني وتقبل خلاصة جهدي هذا ، فقد كان الايمان وحده هو الملاذ للروح ، ان اضناها التعب يوما رددت بخشوع : اللهم صبرا وتوفيقا فما توفيقنا الا بك سبحانك .

التمهيد

التمهيد

الحالة السياسة في عصرى الموحدين وبني الاحمر

ترجع اصول دولة الموحدين في المغرب الى سنة ٥١٤ هـ الا ان نشاطها لم يظهر الا بعد ان وجدت من الفوضى والفساد والضعف العسكري الناجم عن الهزائم المتتابعة للمرابطين في شمال افريقيا مايؤهلها بقيادة زعيمها محمد بن عبد الله بن تومرت لان تتصدى لدولة المرابطين هناك(١) . وقد تلقب محمد بن تومرت بالمهدي المنتظر وصنف كتابين تضمنا افكار دعوته وهما (اعز مايطلب ، وعقائد في اصول الدين)(٢) .

ولقد وقف العلماء والمؤرخون ازاء هذه الدعوة مواقف تتباين بين التأييد والرفض(٣) . مما ساعد المهدي على نشر افكاره كونه قد تشبع بالافكار الحرة والمذاهب الفلسفية والكلامية في المشرق العربي فضلا عما كان يظهر عليه من روح اسلامية عالية كان يتصف بها فقد عرف ابن تومرت بالصبر والزهد والشجاعة والجرأة والعلم(٤) . مما دفعه الى تحقيق مايصبو اليه وخاصة انه لاقى من الاجواء ماينناسب طموحه .

الا انه سرعان ما بدأ الطور الثاني من حياة المهدي وذلك عند ما قررت الدولة المرابطية مجابهته عسكريا في سنة ٥١٥ هـ فكانت الحرب بينهم سجالا ، لكن المنية وافت ابن تومرت فتوفي سنة ٥٢٤ هـ ، وقام بالامر من بعده عبد المؤمن بن علي وكان عبد المؤمن فصيح الالفاظ ،

---

(١) ينظر شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، لابي الفلاح عبد الحي بن العماد ، دار الفكر للطباعة والنشر ، م ٢ ، ج ٤ ، / ١٧٢ .

(٢) ينظر المعجب في تلخيص اخبار المغرب ، عبد الواحد المراكشي ، تحقيق محمد سعيد العريان ، القاهرة ، ط ١ (١٩٤٩) / ١٨٨ .

(٣) ينظر النبوغ المغربي ، عبد الله كنون ، المطبعة المهدية تطوان ، ١/ ٣٢ .
وينظر عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس ، لعبد الله عنان ، مطبعة لجنة التأليف ، القاهرة ، ط ١ (١٩٦٤) / ١٥٩ .

(٤) ينظر الوافي بالوفيات ، صلاح الدين الصفدي ، باعتناء احسان عباس ، ط ٢ (١٩٨٢) ٢/ ٣٢٣ .

حزل المنطق محببا الى النفوس كما ، كان بليغا اديبا شاعرا عالما في النحو حافظا لتأريخ ايام الناس (١) .

وكان لاختلال احوال المرابطين بعد وفاة اميرهم علي بن يوسف بن تاشفين الامر بعده من قبل امراء ضعاف كابنه تاشفين واخيه اسحاق بن علي السدور سهير والعامل المساعد على سقوط دول المغرب بيد الموحدين واخرها مراكش في سنة ٥٦٢ هـ (٢) . حيث كانت اخر معقل للمرابطين في المغرب .

بعد ان تمكن عبد المؤمن من بسط نفوذه على المغرب وتقوية اركان دولته تطلع بشوق الى اخذ الاندلس والقضاء على فلول المرابطين الذين كانوا يلفظون انفاسهم الاخيرة في الاندلس في عهد ابي الحسن بن يوسف بن تاشفين حيث ضعفت الادارة المرابطية اشد الضعف .

ولم يكن عبد المؤمن غافلا عن اهمية الاندلس بل كان يحاول انتهاز الفرصة المناسبة لكي يتدخل في شؤونها ولاسيما انها كانت جزءا لايتجزأ من الدولة المرابطية التي عزم الموحدون على انهائها . فتمكن من اخذ الجزيرة بكاملها بعد ان جاءها بجيش جرار وقضى على كل الفتن التي كانت قائمة فيها وكان وصوله الى الاندلس مناسبة هائلة اجتمع له فيها مالم يجتمع لغيره (٣) . وكان ورود عبد المؤمن الى شبه الجزيرة ونزوله جبل طارق في شهر ذي الحجة سنة (٥٥٥) هـ حيث ابتنى له مدينة فيه ثم اسماه جبل الفتح واقام فيه شهرين حمل خلالهما على تجديد البيعة له من وجهاء الاندلس امراء ووزراء وقادة (٤) . من الذين اسهموا في اقامة احتفالية كبيرة لتمجيد اعماله ، مما حدا بعبد المؤمن الى ان يستدعي الشعراء ليساهموا في

---

(١) ينظر المعجب / ١٦٧ . كما ينظر شذرات الذهب ، م ٢ ، ج ٤ / ١٧٢ .
(٢) ينظر المعجب / ٢٠٢ .

(٣) ينظر عصر المرابطين والموحدين ، عبد الله عنان / ٣٨٠ .
(٤) ينظر المعجب / ٢٢٣ .

تمجيد هذه الاحتفالية . وقد عمل في اثناء مدة اقامته بجبل الفتح على اقامة الاستحكامات النهائية للدولة الموحدية في الاندلس . فولى ابنه يوسف على اشبيلية ، وابنه عثمان على غرناطة ، وولى قائده الشيخ عمر اينتي قرطبة(١) . ولما عاد عبد المؤمن من الاندلس الى مراكش ولى زمام الامور في العدوتين الى ان توفى سنة (٥٥٨) هـ .

فتولى الامر من بعده ولي عهده ابو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن وقد كان حازما على صريقة ابيه حيث شكل جيشا قويا تمكن به من اخضاع جميع المدن الاندلسية لسلطانه ، ثم ترأس جيشا قويا سنة (٥٨٠) هـ لغزو شنترين وبعد حصار طويل للمدينة ، وملابسات كثيرة مني الجيش الموحدي بهزيمة كبيرة اصيب على اثرها ابو يعقوب بجراح ثم وافاه الاجل في (٧) رجب سنة (٥٨٠) هـ(٢) . وقد اعقبه في الحكم ابو يوسف يعقوب الملقب (بالمنصور) (٥٨٠ ـ ٥٩٥) هـ وكانت الدولة الموحدية خلال هذه المدة في مرحلة جديدة في سعادها السياسية والعقائدية والفكرية والاجتماعية . وكان لايرى في ابن تومرت مايراه الموحدون من انه المهدي المنتظر ولايثق بالصبغة الدينية التي قامت عليها دولتهم(٣) . وكان هذا الخليفة من اعظم ملوك المغرب في اعماله و حروبه حيث كانت له موقعة (الارك) الشهيرة التي سجل فيها المسلمون انتصارا عظيما على جيوش النصارى (الاسبان) بقيادة ملكهم الفونسو الثالث وذلك سنة (٥٩١) هـ حيث كان لهذا النصر طعمه الخاص ولاسيما انه جاء عقب انتصار صلاح الدين الايوبي على الصليبيين في موقعة حطين واسترجاع القدس(٤) . وقد طال عمر سيادة الموحدين حتى قارب القرن . ولم تتزعزع دعائم ملكهم

---

(١) ينظر تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، لعبد الله محمد بن ابراهيم الزركشي ، تحقيق محمد ماظور ، ط ٢ (١٩٦٦) / ١٦٢ .

(٢) ينظر معالم تأريخ المغرب والاندلس ، د . حسين مؤنس ، دار المستقبل ، القاهرة ، ط ١ (١٩٨٠) / ١٩٧ . وينظر المن بالامامة ، لابن صاحب الصلاة ، دار الاندلس للطباعة والنشر ، بيروت ، ط ١ (١٣٨٣) هـ / ٢٧٣ .

(٣) ينظر المعجب / ٢٣١ .

(٤) ينظر معالم تاريخ المغرب والاندلس / ١٩٨ .

الا بعد هزيمتهم في معركة (العقاب) التي وقعت سنة (٦٠٩) هـ بين المسلمين بقيادة محمد الناصر وبين النصارى بقيادة الفونسو ملك قشتالة التي ادت الى هزيمة المسلمين على الرغم من كثرة عددهم الذى بلغ ستمائة الف مقاتل (١) . وكان لتولي الحكم بعده من قبل حكام ضعفاء الاثر الحاسم لضعف الموحدين بشكل كبير في الاندلس . ومنهم ولي عهده ابنه ابو يعقوب يوسف الثاني والمستنصر بالله الذى تولى الحكم سنة (٦١٠) هـ وكان يومئذ طفلا لم يتجاوز العاشرة من عمره (٢) وكان ذلك عاملا مساعدا على تشجيع الطامعين في الحكم من الوزراء وغيرهم على ممارسة دورهم التخريبي الذى عجل في انهيار الدولة الموحدية (٣) .

وما ان توفى المستنصر في سنة (٦٢٠) هـ حتى اخذت الاضطرابات تشمل جميع اجزاء الدولة الموحدية وخاصة انه لم يترك من يخلفه في الحكم فبدأ النزاع على العرش ، وبدأت بوادر حرب اهلية في الظهور فقام في الاندلس عبد الله ولد يعقوب المنصور واعلن نفسه اميرا على مرسية وتلقب باسم (العادل) . وتوفى العادل سنة (٦٢٤) هـ فتولى الحكم بعده اخوه ادريس ونتيجة لهذا الضعف اخذت الغيوم تغيم على سلطان الموحدين وبدأ تساقط المدن الاندلسية بيد الاسبان كأوراق الخريف . واستمرت الاسرة الموحدية في الاندلس الى ان آل الامر الى الخليفة ابن ابي دبوس ادريس الموحدى الذى قتله المرينيون (٤) . وقد في هذا الضعف ظهور دول اسلامية اعلنت انفصالها عن الدولة الام كدولة (الحفصيين) في تونس بزعامة ابي محمد بن عبد الواحد بن ابي حفص (٥) ، ودولة (المرينيين) في المغرب بزعامة عبد الحق بن محيو (٦) ودولة بني الاحمر في غرناطة التي استطاعت ان تحافظ على سيادتها في الركن الجنوبي الغربي من الجزيرة وذلك في سنة (٦٣٥) هـ (٧) .

---

(١) ينظر نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ، دار صادر ، (١٩٦٨) ١ / ٤٤٦ .

(٢) ينظر تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ، يوسف اشباخ ، ترجمة محمد عبد الله عنان ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة (١٩٤١) / ١٥٢ .

(٣) المصدر نفسه / ١٥٣ .

(٤) ينظر تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية / ١٦٠ .

(٥) ينظر نهاية الاندلس وتاريخ العرب المتنصرين ، عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ط ٤ (١٩٨٧) / ٩٥ .

(٦) ينظر تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية / ١٦٢ .

(٧) ينظر نهاية الاندلس / ١٦٧ .

وهكذا اصبحت اسبانية النصرانية هي سيدة الموقف واصبحت هي المالكة لزمام الامور وآلت الدولة الاسلامية الى الضعف والتشتت واخذت ريح التوجس والقلق تخيف المسلمين وتدفعهم الى الخروج من هذا البلد الدامي . لولا أنْ شاء الله تعالى ارجاء هذا المصير الى بضعة قرون اخرى . وشاء ان يسبغ على الدولة الاسلامية في الاندلس حياة جديدة في ظل مملكة غرناطة التي لم تستطع الدولة النصرانية القضاء عليها الا بعد مائتين وخمسين عاما عاشتها مملكة غرناطة ابيه ترفع لواء الاسلام عاليا (١) .

ولقد تولى امر مملكة غرناطة محمد بن نصر بن الاحمر امير جيان وارجونه في سنة (٦٣٥) هـ ، واخذ محمد بن الاحمر يجمع من حوله جميع المسلمين الذين غادروا البلاد التي افتتحها النصارى وسرعان مافوى عضد الدولة حتى عد كل من لا يناصره ويؤيده خارجا عن الاسلام . ودعا الى حرب النصارى فنشبت الحروب بين الجيش الاسلامي بقيادة ابن الاحمر وبين النصارى من الدولة القشتالية وكادت كفة الميزان تميل الى القشتاليين في سنة (٦٤٣) هـ ولكن ابن الاحمر تمكن من ان يهدء الوضع بموجب اتفاقية عقدت بين الطرفين (٢) .

لقد كان ابن الاحمر يسعى جاهدا نحو توطيد اركان مملكته وكان كلما وسع من سلطانه وقوته يزداد صلابة وايمانا وكان يتطلع الى ماوراء البحر الى اخوانه في الدين من بني مرين في المغرب وقد طلب منهم فعلا المساعدة فلبوا النداء وعبروا البحر بثلاثة الاف مقاتل (٣) . وما ان وافاه الاجل سنة (٦٧١) هـ حتى قام بالامر من بعده ابنه (الفقيه) حيث عاود النصارى تهديداتهم مما دفع بالفقيه الى ان يطلب النجدة من المغرب ثانية ووقعت معركة بين المسلمين و نصارى في سنة (٦٧٤) هـ انتصر فيها المسلمون وقتل فيها قائد النصارى فكان اول نصر كبير يحرزه المسلمون على النصارى منذ موقعة (العقاب) (٤) . وظلت العلاقة بين الفقيه

---

(١) ينظر نهاية الاندلس / ٢١ . ومعالم تاريخ المغرب والاندلس / ٢٠٤ .
(٢) ينظر تاريخ الاندلس / ١٩٠ .
(٣) ينظر تاريخ ابن خلدون كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت (١٩٦٢) ، جـ ٧ / ١٧١ .
(٤) ينظر اللمحة البدرية في الدولة النصرية ، لسان الدين بن الخطيب ، القاهرة ، (١٣٤٧) هـ / ٤٤ .

ابن الاحمر وملك قشتالة مضطرية الى ان وافاه الاجل في سنة (٧٠١) هـ وقد تعاقب على حكم مملكة غرناطة من بعده عدد من ابنائه واحفاده اتسم بعضهم بالحزم والشجاعة ولكن الغالبية منهم كانوا منشغلين بالصراعات الداخلية والتوجس من الخطر النصراني الدائم وكانت غرناطة قد فقدت بسقوط دولة المرينيين في المغرب سندا قويا . وشاء الله تعالى ان يأتي في اخر قائمة الحكام في مملكة غرناطة عدد من الامراء الضعفاء الذين لم يصمدوا امام الضغط النصراني فاضطروا الى تسليم مفاتيح غرناطة للاسبان والخروج من الاندلس نهائيا في سنة (٨٩٧) هـ ، مختتمين بذلك وجودا عربيا اسلاميا مجيدا في اسبانيا دام ثمانية قرون (١) .

الحياة الاجتماعية والثقافية والفكرية :

شهد المجتمع الاندلسي ايام الموحدين تسامحا قويا بين ابناء الطبقات الاجتماعية المختلفة عرقيا ودينيا ولغويا (٢) . ولعل ابرز مظاهر هذا التسامح السماح للنصارى بابتناء كنائسهم (٣) . وظهور طبقة كبيرة من اليهود كان لهم دور في الحياة الادبية والسياسية كابن سهل الاسرائيلي (٤) ، وموسى بن ميمون القرطبي (٥) .

ولقد حظي التعليم في هذا العصر بأهمية فائقة ولاسيما ان عقيدة ابن تومرت تتطلب من الموحدين دراسة كتبه وخاصة (اعز ما يطلب) وقد اعتنى بالطلبة الذين درسوا هذا الكتاب (٦) وسرعان ما انتشرت المعاهد الاندلسية في اشبيلية وقرطبة وغرناطة وبلنسية لتدريس مختلف

---

(١) ينظر نهاية الاندلس / ٦٢ .
(٢) ينظر معالم تاريخ الاندلس والمغرب / ١١٩ .
(٣) ينظر تاريخ ابن خلدون ٦ / ٥١ .
(٤) ينظر ديوان بن سهل الاندلسي ، تحقيق يسرى عبد الغني ، مقدمة المحقق / ٥ .
(٥) قصة الادب في الاندلس ، محمد عبد المنعم خفاجة ، بيروت (١٩٦٢) ٢٤١ .
(٦) ينظر عصر المرابطين والموحدين ١٩٩ .

العلوم والمعارف(١) . ولم يكن التعليم مقتصرا على الرجال بل كان للنساء دور مهم في هذه العملية وقد اشتهرت الشاعرات اللواتي كن يتمتعن بحضرة كبيرة مثل اسماء العامرية وحفصة الركونية(٢) وغيرهن .

ان هذه الكثرة للادبيات في هذا العصر تدل على رقي منزلة المرأة في العصر الموحدي(٣) ولقد طالب ابن رشد بافساح المجال للنساء في العمل واعطائهن حرية التفكير(٤) .

اما في ايام مملكة بني الاحمر في غرناطة فأن عناصر المجتمع الاندلسي في هذه المملكة لم تختلف كثيرا عن العناصر التي كونت المجتمع الاندلسي بمختلف عناصره الاصيلة والدخيلة ايام الموحدين الا انه قد استطال بمضي الزمن الى امة عربية اسلامية ذات طابع مستقل له مميزات خاصة(٥) ، وقد اعتمدت هذه المملكة في اقتصادها على الزراعة والصناعة فضلا عن التجارة وكان لمناخها المعتدل الدور المهم والمساعد على انشاء المحاصيل الزراعية مما وفر للمجتمع انذاك اسباب العيش الرغيد .

وقد اشتهرت غرناطة بالعمران والصروح والهياكل العظيمة الجميلة وزخرفتها التي تمثل الحضارة الاندلسية الراقية ومن هذه الصروح الشامخة (قصور الحمراء) .

وكان للمرأة دورها الفائق في بناء هذا الصرح الحضاري حتى نرى بعضهن ارتقى الى مستوى الخلافة وتدبير الامور كالملكة (عائشة الحرة) ملكة غرناطة التي كانت في ظل ملك يحتضر ومجد يشع بضوئه الاخير وهي زوج السلطان ابي الحسن وام الخليفتين ابي عبد الله محمد وابي الحجاج يوسف(٦) .

---

(١) ينظر تاريخ اشباخ / ٢٥٥ .
(٢) ينظر الشعر النسوي في الاندلس ، محمد المنتصر الرسوني ، قدم له عبد الله كنون ، بيروت ، لبنان (١٩٧٨) / ٥٠ .
(٣) ينظر الادب الاندلسي في عصر الموحدين ، د . حكمت علي الاوسي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ٣٣ .
(٤) ينظر ظهور الاسلام ، احمد امين ، مطبعة لجنة التأليف ، القاهرة (١٩٥٣) / ٢٥٧ .
(٥) ينظر نهاية الاندلس / ٤٤٩ ـ ٤٥١ .
(٦) [illegible] / ٩٨

اما الحياة الفكرية فقد ازدهرت ازدهارا كبيرا بعيدا عن الاضطرابات السياسية بحيث انها وصلت اوج عظمتها في هذا العصر ولا غرابة في ذلك اذا علمنا اقبال الخلفاء على تشجيع العلوم فلقد كان ابن تومرت يحث على طلب العلم وكان هو نفسه قد اخذ العلم من حواضر المشرق في مصر والعراق (١) . ونجد الشيء نفسه عند عبد المؤمن الذي اخذ على عاتقه حماية العلم اينما وجد واطلق حرية العلوم والفنون فانشأ المعاهد والمدارس في مراكش . كما لقي العلم تشجيعا في عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن الذي ابتنى المعاهد في الاندلس التي شملت جميع العلوم والمعارف التي كانت معروفة في ذلك العصر (٢) .

وقد نتج عن هذه البيئة العلمية والمناخ الملائم للعلوم الدينية العدد الكبير من المؤلفات التي الفت في الحديث والتفسير ، كما ازدهر التصوف ازدهارا كبيرا في هذا العصر ويقول الدكتور محمد مجيد السعيد (حتى يخيل لمن يقرأ هذه المؤلفات ان الناس ليس فيهم آنذاك سوى الثقات الصالحين والمتبتلين المتصوفين) (٣) . وقد ازدهرت المكتبة العربية بالمؤلفات التي ترجمت لاعلام الفكر الاسلامي (٤) . كما ازدهرت الحركة الادبية وخاصة انها لقيت الدعم والتشجيع من قبل الخلفاء . فمنذ وصول عبد المؤمن الى جبل الفتح اخذ يستدعي الشعراء مما يدل على تلك الاهمية التي اولاها الخلفاء للعلم والادب .

ويقدر اهتمامهم بالادب وفنونه ، فأن العلوم الاخرى ازدهرت ايام الموحدين حيث اهتموا بالعربية وعلومها وظهر ايضا علماء بارزون في التاريخ والطب والرياضيات والفلك والفلسفة ويكفي هذا العصر انه عصر ابن طفيل (ت : ٥٨١ هـ) وابن رشد

---

(١) ينظر عصر المرابطين والموحدين ١ / ٢٠١ .
(٢) ينظر تاريخ اشباخ / ٢٥٢ ـ ٢٥٥ .
(٣) الشعر في عهد المرابطين والموحدين في الاندلس / ٦٧ . محمد مجيد السعيد الدكتور
(٤) ينظر تاريخ المن بالامامة / ١٤٧ ـ ١٥٧ .

اما في ايام مملكة غرناطة فان الحياة العقلية اتسمت بالاضطرابات وذلك لكثرة التهديد الاسباني وعدم الاستقرار وعلى الرغم من كل ذلك فان هذه المملكة بقيت حاضرة للاداب والعلوم ومنارة للفكر والمعرفة (وذلك بسبب تشجيع الخلفاء للعلم والمعرفة • وقد كان منهم الشعراء والكتاب والمؤرخون • (١)

---

(١) ينظر قصة الادب في الإندلس : ٤٨٧ ومابعدها •

شعر المديح النبوى (النشأة والبواعث)

لم يهتم التاريخ العربي الاسلامي بشخصية ما ، قدر اهتمامه بشخصية الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم . فلقد دونت سيرته منذ مولده المبارك الى حين وفاته والتحاقه بالرفيق الاعلى ، وقد سار الادب ولاسيما الشعر كتب التاريخ في توثيق سيرته المباركة تبركا وتقربا .

فجاء ذكر ولادته وطفولته وشبابه وبعثته وجهاده ومارافق ذلك كله من حوادث كبرى ومعجزات عظيمة لحين وفاته صلى الله عليه وسلم . ويمكن لنا ان نبين مدى التطور الذى طرأ على قصيدة المديح النبوى من خلال تتبع بداية هذا الشعر . واول ماتطلعنا به المصادر ابيات لامه امنة بنت وهب اوردها صاحب الطبقات الكبرى قالتها عند ما سلمته الى مرضعته حليمة السعدية(١) :

اعيذه بالله ذي الجلال ... من شر ما مر على الجبال
حتى اراه حامل الحلال ... ويفعل المعروف الى الموالي
وغيرهم من حشوة الرجال

ولما بلغ الرسول محمد صلى الله عليه وسلم السنة الخامسة من عمره قدمت امه الى حليمة لترده اليها فاضلها في الناس فالتمسته فلم تجده فاتت جده عبد المطلب ، فسألته عنه فالتمسه فلم يجده فقام عند الكعبه وانشد (٢) :

لاسم أدعو مؤنسي محمدا ... اذ الى واصطنع عندى يدا
انت الذى جعلته لي عضدا ... لايبعد الدهر به فيسعدا
انت الذى سميته محمدا

---

(١) الطبقات الكبرى ، لابن سعد ، دار صادر ، بيروت ١/١١١ .
(٢) المصدر نفسه ١/١١٢ .

ولما نشأ الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وترعرع ادخله جده عبد المطلب الكعبة ليشكر ربه على عادته . فقال عبد المطلب في ذلك(١) :

الحمد لله الذى اعطانـــــي هذا الغلام الطيبَ الاردان
قد ساد في المهد على الغلمان اعيذه بالبيت ذي الاركـــان
من كل ذي حقدٍ وذي شنـــان حتى اراه سيدَ الفتيـــان

كما تورد المصادر ابياتاً منسوبة لورقة بن نوفل قالها بعد ان اخذته اليه خديجة بنت خويلد رضى الله عنها بعد حادثة الملكين الذين اظلا رسول الله وهو في طريقه الى الشام فقال ورقة(٢) :

لججت وكنت في الذكرى لجوجـا لهمٍّ طالما بعث النشيجـا
ووصفٍ من خديجة بعد وصفٍ فقد طال انتظارى ياخديجـا

* * *

بأنَّ محمدا سيسود فينـــا ويخصم من يكون له حجيجـا
ويظهر في البلاد ضياءَ نـــور يقيم به البرية ان تموجـــا
فيلقى من يحاربه خســـارا ويلقي من يسالمه فلوجـــا

كما انه مُدِح مدحاً عفويا بعد حادثة النزاع المشهورة بين قبائل العرب على وضع الحجر الاسود فهذا بشر بن هبيرة بن وهب المخزومي يقول في ذلك(٣) :

فلما رأينا الامر قد جدَّ جـــده فلم يبق شيءٌ غيرَ سلِّ المهنـد
رضينا وقلنا العدلُ اولُ طالـــع يجيء من البطحاء من غير موعد

وما ان بعث صلى الله عليه وسلم حتى كان الشعر يرافق هذه الدعوة فكان ابو طالب عم الرسول يقول مفتخرا بال بيت رسول الله ومن ثم يخصه منهم ويثني على اقاربه الذين ناصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش(٤) :

---

(١) الطبقات الكبرى ١/١٠٣ .
(٢) السيرة النبوية ، لابن هشام ، الانصارى ، دار الفكر ، بيروت (١٩٣٧) ١/٢٠٨ .
(٣) المصدر نفسه ١/١٤٣ .
(٤) المصدر نفسه ١/٢٨٢ .

اذا اجتمعت يوما قريش لفخـــر فعبد مناف سرها وصميمهـــا
فان حصلت اشراف عبد منافهـــا ففي هاشم اشرافها وقديمهـــا
وان فخرت يوما فان محمـــــدا هو المصطفى من سرها وكريمهـــا

هكذا اصبحت صورة الرسول الكريم محمد تتجلى شيئا فشيئا ويجهد الشعراء انفسهم في رسمها فهذا عمه ابو طالب يكشف بعض ملامح هذه الصورة الناصعة فيقول (١) :

وابيض يُستسقى الغمام بوجهـــه ثمال اليتامى عصمةٌ للارامـــل
حليمٌ رشيدٌ عادلٌ غيرُ طائـــش يوالي الها ليس عنه بغافـــل

وقد عد الدكتور زكي مبارك الاعشى اقدم مداحي الرسول محمد صلى الله عليه وسلم (٢) متجاهلا تلك المدة التي سبقت قصيدة الاعشى وساذكر هذه القصيدة باختصار لانها تستحق الذكر لما لها من اثر كبير في توثيق صلة النبي محمد صلى الله عليه وسلم والقصيدة التي عناها الدكتور مبارك هي قصيدة الاعشى الدالية التي مطلعها (٣) :

الم تغتمضْ عيناك ليلةَ ارمـــدا وعاد اك ماعاد السليمَ المسهدا

الى ان يصل الى قوله :

فاليت لا ارثي لها من كلالـــة ولا من حفىً حتى تزور محمـــدا
مشى ماتناخي عند باب ابن هاشم تريحي وتلقيٌ من فواضله يـــدا

ولعلنا لانأتي بجديد حينما نعرج على ذكر شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم كحسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وكعب بن زهير لكثرة ما طرق هذا الموضوع من الكتاب والدارسين (٤) .

---

(١) السيرة النبوية ١ / ٢٨٢ .
(٢) ينظر المدائح النبوية في الادب العربي ، زكي مبارك ، القاهرة ، دار الكتاب العربي ، للطباعة والنشر (١٩٦٧) / ١٦ .
(٣) ديوان الاعشى الكبير ميمون بن قيس ، شرح وتعليق د . محمد حسين ، مكتبة الاداب بالجماميز (١٩٥٠) / ١٣٥ .
(٤) ينظر العصر الاسلامي ، شوقي ضيف ، ودراسات في الادب الاسلامي ، د . محمود زيني ،

وقد لمع عدد اخر من اسماء الشعراء الذين كان لهم باع طويل في الاسهام في بناء قصيدة المديح النبوى في العصور التي تلت هذه المدة كـ (الكميت بن زيد الكوفي (١) ودعبل الخزاعي) (٢) .

اما في القرن الخامس الهجرى فلقد بدا رسم الخطوط التي تسير عليها قصيدة المديح النبوى بشكلها المتكامل . فنجد قصيدة الشيخ المغربي ابي عبد الله بن زكريا الشقراطيسي ت (٤٩٦) هـ قد اشتملت على عناصر جديدة تشكلت فيها بنية قصيدة المديح النبوى ونجد فيها الاسلوب المباشر في الدخول الى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم يقول (٣) :

الحمد لله منّا باعث الرسل ... هدى بأحمد منا احمد السبل
خير البرية من بدو ومن حضر ... واكرم الخلق من حاف ومنتعل

ثم يدخل الى سيرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بشكل تفصيلي مارا بمولده وما صاحبه من حوادث وبجهاده وما تخللته من غزوات وماصاحب هذه السيرة من معجزات تثبت صدق رسالته صلى الله عليه وسلم ثم يختتم قصيدته بالتوسل الى الله عز وجل طالبا من رسوله ان يمن عليه بشفاعته .

ثم يسهم الزمخشري ت (٥٣٨) هـ (٤) بقصيدتين من قصائد المديح النبوى ومن بين من عاصر شعراء هذه المدة ايضا ابو الحسن بن صافي بن نزار النحوى ت (٥٦٨) هـ والمشهور بـ (ملك النحاة) وهو من اشهر الشعراء اسهاما في المديح النبوى حيث نظم ستة قصائد وهذا العدد لم يسبقه اليه احد من قبل ولهذا فهو يعد ظاهرة بارزة وعلما مهما من شعراء المديح النبوى (٥) .

---

(١) ينظر القصائد الهاشميات الكميت بن زيد الكوفي تصحيح محمد شاكر ، مطبعة الموسوعات ، د ت / ١٥ .
(٢) ينظر ديوان دعبل الخزاعي ، جمع وتحقيق عبد الصاحب الزحيل الحزرجي ، مطبعة الادب (١٩٦٢) / ٩١ .
(٣) المجموعة الشيهانية في المدائح النبوية ، ليوسف بن اسماعيل النبهاني ، بيروت ، المطبعة الادبية (١٣٢٠) هـ / ١٩٨/٣ .
(٤) المصدر نفسه ٣٤/٣ ـ ٣٦ .
(٥) انظر التاريخ الكبير ، لابن عساكر ، ترتيب وتصحيح عبد القادر افندي بدران ، الشام ، مطبعة الروضه (١٣٢٢) هـ ١٩٨/٤ .

اما في الاندلس فقد اختلف [illegible] حول نشأة المديح النبوي هناك واستوائه فنا قائما بذاته .

فيرى الدكتور محسن جمال الدين ان قصيدة المديح النبوي لم تكن شيئا عارضا وموضوعا عابرا من موضوعات الشعر الاندلسي المستحدثة بل كانت موجودة في الادب الاندلسي منذ وقت مبكر ويستدل على ذلك بأنه قد لايخلو كتاب من كتب الادب القديمة او ديوان شاعر اندلسي معروف الا ويذكر كتاب الله ويتوسل الى رسول الله (١) . ويذهب الدكتور محمد مجيد السعيد الى جعل قصيدة المديح النبوي فنا جديدا من فنون الشعر الاندلسي ظهر بشكل بارز في اواخر العهد الموحدي مستثنيا تلك القصائد التي تعرضت ضمنا لذكر الرسول محمد صلى الله عليه وسلم طلبا للشفاعة او ذكرا لبعض فضائله (٢) . ومن الذين اكدوا هذه الحقيقة ايضا الدكتور حكمة الاوسي بقوله (في منتصف القرن السادس الهجري من العهد الموحدي في الاندلس شاع بين الشعراء موضوع مدح النبي شيوعا لم يكن من قبل) (٣) .

ويؤيد الدكتور منجد مصطفى بهجت ذلك بقوله (قد استقوى تيار المديح النبوي في هذا العصر بشكل بين) (٤) .

ويفهم من ذلك ان شعر المديح النبوي كان موجودا ولكنه كان يأتي ممتزجا مع اغراض الشعر الاخرى قبل العصر الموحدي الا اننا نجد عددا من الشعراء انشأوا قصائد خالصة في المديح النبوي قبل العصر الموحدي كابن العريف ت (٥٣٦) هـ (٥) والقاضي عياض ت (٥٤٤) هـ صاحب كتاب (الشفا) في اخبار المصطفى (٦) . ومع ذلك فان شعر المديح

---

(١) ينظر الاحتفالات في المواليد النبوية في المغرب والاندلس ، الدكتور محسن جمال الدين ، بغداد ، دار البصري (١٩٦٧) ٧ ـ ١٤ .
(٢) ينظر الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالاندلس / ٢٦٩ .
(٣) الادب الاندلسي في عصر الموحدين / ٢٣٥ .
(٤) ديوان ابن الجنان ، تحقيق د . منجد مصطفى بهجت ، مقدمة المحقق / ٩ .
(٥) ينظر نفح الطيب ، ٤٩٧/٧ ـ ٥٠١ .
(٦) ينظر القاضي عياض الاديب ، عبد السلام شاقور / ١٢٠ .

النبوي ايام المرابطين لم يتسع ولم يتجاوز المقطعات الصغيرة وكان دون مستوى شعر المديح النبوي في العصور التي تلت عصر المرابطين ولاسيما في ايام دولة بني الاحمر حيث الفت الدواوين الشعرية الكاملة في مدح الرسول عليه افضل الصلاة والسلام ، كديوان ابن جابر الهواري ت (٧٤٩) هـ المعروف باسم (نظم العقدين في مدح سيد الكونين) (١) .

فضلا عن القصائد الطوال التي تجاوزت المئات من الابيات الشعرية التي قيلت في مدح الرسول والتي ضمتها امهات المصادر الاندلسية كازهار الرياض ونفح الطيب ، والذيل والتكملة ، وهناك الدواوين كديوان الشاعر ابن الجنان الانصاري الذي جمعه الدكتور منجد مصطفى بهجت واسماه (ديوان ابن الجنان الانصاري الاندلسي شاعر المديح النبوي في القرن السابع الهجري) (٢) وكان لابن الخطيب الباع الطويل في هذا الفن ولاسيما في المولديات (٣) .

يضاف لذلك الشعراء الذين ضمتهم كتب الترجمة كزاد المسافر والكتيبة الكامنة وغيرهما الكثير حتى وصفت المدائح النبوية بانها (بحر لا ساحل له) ، كما ذهب الى ذلك صاحب النفح (٤) .

وخلاصة القول ان شعر المديح النبوي ازدهر في ايام الموحدين ودولة بني الاحمر ازدهارا لم تشهد له العصور السابقة مثيلا ولقد كانت وراء هذا الازدهار عوامل كثيرة لعل من اهمها :

---

(١) لم يزل ديوانه مخطوطا من نسختين في مكتبة الاوقاف ببغداد ، تحت رقم(٤٦١ ـ ١٢/٨٤ شعر) . وتنظر مقالات الدكتور محسن جمال الدين في مجلة البلاغ عن الشاعر وديوانه عدد (٣ ـ ٥ ـ ٨ ـ ٩ ـ ١٠) لسنة (١٩٦٧) .

(٢) ديوان ابن الجنان الانصاري الاندلسي شاعر المديح النبوي بالاندلس في القرن السابع الهجري ، جمع وتحقيق ودراسة د . منجد مصطفى (١٤١٠) هـ(١٩٩٠) م .

(٣) المولديات وتسمى ايضا بالعيديات وهي القصائد التي تنشد في الاحتفالات التي تقام بمناسبة المولد النبوي الشريف . انظر في ذلك ازهار الرياض ١ / ٢٤٣ . وهي تكون في الغالب ذات نفس ليس بالقصير تتراوح اطوالها مابين ثمانية وثلاثين بيتا ومائة وستة عشر بيتا .

(٤) نفح الطيب ٧/٥١٢ .

اولا : ان السلطة الحاكمة في هذا العصر كانت تستند على اساس ديني وكان لهذه الصبغة الدينية الاثر الكبير في تشجيع العلوم الاسلامية بانواعها من فقه وحديث وتفسير مما سمح لكتب الامام الغزالي بالشيوع والانتشار كل هذا دفع الشاعر الاندلسي الى التعبير عما يختلج في داخله من حب للرسول محمد صلى الله عليه وسلم بكل حرية وكل وضوح .

ثانيا : غالبا ماتلجأ النفوس العامرة بالايمان الى الله ورسوله وخاصة عند ما تعجز وسائلها المادية عن المقاومة والوقوف امام اعدائها وهذا ماحصل في منتصف القرن السادس وبداية القرن السابع من ازمات متتابعة وهزائم للموحدين لاسيما بعد موقعة (العقاب) وما اعقبتها من هزائم كبرى دفعت المسلمين الى الاستنجاد بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم وخاصة في تلك المحن بعد ان يأسوا من قدرة الحكام في الدفاع عن اراضيهم وصد الاعداء[١] . وكانت هذه الظروف عاملا مهما في ان يلقي شعر المديح العناية اللازمة . فلقد الفت القصائد الطوال في هذا المجال مستذكرين مناقب الرسول وسيرته المعطرة .

ثالثا : ان ازدهار شعر المديح النبوي في المشرق العربي وظهور اعلامه البارزين كالبوصيري والصرصري وابن حفص النيسابوري ت (٥٣٢) هـ وسيف الدين عمر بن قمري (٦٥٦) هـ [٢] واشتداد الرحلة بين المشرق العربي والاندلسي قد يكون له الاثر الكبير في انتقال هذا الفن الشعري الى الاندلس بشكله المتكامل وبقصائده الطوال .

رابعا : ولربما كان لبعد المسلمين في الاندلس عن ضريح الرسول صلى الله عليه وسلم وعن بيت الله الحرام وكل الاماكن المقدسة اثر في جعلهم عاجزين عن تأدية فريضة الحج وزيارة قبر الرسول الكريم مما جعلهم يقتصرون ويلجأون في التعبير عن شوقهم هذا على ماتجود به قرائحهم[٣] .

---

(١) ينظر الادب الاندلسي في عصر الموحدين / ٢٩١ .

(٢) ينظر الدائح النبوية في عصر الحروب الصليبية ، د . ناظم رشيد / ٤٣٣ ، مجلة اداب الرافدين عدد / ١٣ .

(٣) ينظر الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالاندلس : ٢٧٥ .

خامسا : وربما يكون الاحساس الديني العالي بثقل الذنوب واشتداد العصيان دافعا قويا بان يلوذ الشعراء بشفاعة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ويطمعون في ان يكونوا يوم القيامة تحت لوائه فكانوا ينظمون قصائدهم مستشفعين وراجين ومتوسلين (١) .

---

(١) ينظر حياة واثار ابن زمرك / ١٢٣ .

الفصل الأول

شخصية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم
من خلال قصيدة المديح النبوي

لقد تفنن الشعراء في رسم شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم – واخلاقه ومآثره وذكر صفاته الخلقية والخلقيه بوصفه النموذج الاول للانسانية في كل زمان ومكان . فلقد تتبعوا معالم حياته منذ ان حملت به امه حتى انتقاله الى الرفيق الاعلى ولعل النسب الشريف كان من ابرز الامور التي تطرق اليها الشعراء ونوهوا بها واشادوا بسموها واهميتها تأكيدا لاصالة النبي الكريم وانتمائه لاعظم قبائل العرب . فلقد تغنى الشعراء بنسبه العدناني الذي يعد من اهم اصول العرب فيقول ابن زمرك ت (٧٩٥ هـ) : (١)

من آل عدنان في الاشراف من مضر ... من محتدٍ تطمح العلياءُ إنْ طمحا

ويؤكد ابن عاصم (٢) (كان حيا ٨٨٨ هـ) هذا المعنى في تخميس له (٣) :

محمد خير من يمشي على قدم ... اذا عَدَدْتَ بيوتَ المجدِ والحسب

فمنه حتى الى عدنانَ او مضرٍ

ويتباهى الشاعر الاندلسي ويتفاخر بصلة الرسول الكريم بجده اسماعيل كما في قول ابن الحبازة ت (٦٣٧ هـ) (٤) :

من اجله خصَّ الذبيح فداؤه ... وفي ظهره المختارُ اصبح ثاويا

فداه بذبح عظَّم الله شأنَه ... لأنَّ كان دهرا في الفراديس راعيا

وثنّى بعبد الله حامل فضله ... فكان بذاك الفرع للاصل راقيا

لذلك ما قال الرسول منبها ... انا ابن ذبيحيها يعدُّ المعاليا

ولطالما نوه الشعراء بنسبه الهاشمي الشريف لان هاشما يعد اصلا من اصول السيادة في قريش فهذا ابن الجنان ت (٦٤٨ هـ) يقول (٥) :

سلام على خير البرية شيمةً ... واكرمها نفسا وبيتا ومحتدا

سلام على المختار من آل هاشم ... اذا انتخبوا للفخر احمد امجدا

---

(١) حياة واثار ابن زمرك / ٣١٤ .

(٢) ابن عاصم محمد بن محمد بن محمد بن عاصم القيسي الغرناطي تولى القضاء سنة ٨٨٨هـ ، ينظر ازهار الرياض ١ / ٢٤٠ .

(٣) ازهار الرياض ١ / ١٧٩ .

(٤) المصدر نفسه ٢ / ٣٨٥ – ٣٨٦ .

(٥) ديوان ابن الجنان / ٨٠ .

وممن تفنن بنسبته لهذا البيت الكريم لسان الدين ابن الخطيب ت (٧٧٦ هـ) بقوله (١) :

فريع صميم المجد من آل هاشم ... اولى القسمات الغُرّ والانف الشمّ

هكذا كان نسب الرسول محمد صلى الله عليه وسلم اول روضة يستقي منها الشاعر افانين قوله معبرا بكل افتخار عن هذا النسب الشريف فكان المدخل الى الحديث عن شخصيته عليه افضل الصلاة والسلام . ثم انتقل الشعراء الى ولادته فصوروها بكل وضوح وتفصيل بادئين بالحديث عن بدايات حمل امه به حيث كانت له خصوصيته في الحمل كما اوضح ذلك ابن الخيازة بقوله (٢) :

وخصّ بطونَ الطيبات بحمله ... ليحملن فرعا بالسيادة زاكيا

ولم يكن هذا الحمل عاديا كما يحدث لكل البشر بل حطت به السيدة امنة بنت وهب ولم تعان ، كما عانت الامهات من التعب والتعب بل كان حمله خفيفا على امه فهذا لسان الدين بن الخطيب يقر هذه الحقيقة بقوله (٣) :

ولم تَشْكِ ثقلَ الحملِ امنةُ الرضا ... ولا دُهيتْ منه بكرب ولا غمّ

ولقد اجتهد الشعراء متتبعين بكل تفصيل ذكر ليلة مولده حيث اشرقت فيها السماء بنور الهدى الذى اضاء الكون باسره ليخرجه من الظلمات الى النور فهذا ابن العطار يقول (٤) :

شمس الهدى وضحت باشرف مرسلٍ ... ودجت دجى ليل الظلام المسبل

من وجه عبد الله كان ظهورها ... للخلق طرا في ربيع الاول

---

(١) ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام ، تحقيق الدكتور محمد الشريف القاهر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط ١ (١٩٧٣) / ٥٧٦ .

(٢) ازهار الرياض ٢ / ٣٨٤ .

(٣) ديوان الصيب / ٥٧٧ .

(٤) محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن ابي بكر العطار كان حيا (٧٠٧ هـ) انظر ترجمته في النفح ٧ / ٤٧٠ . والقصيدة في ٧ / ٤٩٥ .

لقد كان مولده نورا ولم يعم هذا النور مكة وحدها بل شع ليضيء دياجي الظلمات في ارجاء الكون ، يقول مالك بن المرحل ت (٦٩٩ هـ) في احدى مدائحه (١) :

بدا في افق مكة كوكبـــا
ثم اعتلى فجلا سناه الغيهبـــا
حتى انار الدهر منه واخصبـــا
اذ كان فيض الخير منه عميمـــا صلوا عليه وسلموا تسليمـــا

كما اهتم الشعراء بتقصي الاحداث الكبرى التي صاحبت مولده الشريف كانشقاق ايوان كسرى وانطفاء نار المجوس حيث ركزوا على هذا الجانب كثيرا فلا نجد قصيدة ميلادية تغفل هاتين الحادثتين ومالهما من اثر كبير لتأكيد نبوته عليه افضل الصلاة والسلام فابن الخطيب يرى ان ايوان كسرى انما انهد وانهار اجلالا لمولد نبي النور والرحمة فيقول (٢) :

اضاءت قصور الشام منهن وانجلت معالم ماضمت عليه الاباطح
وهُدّ لها ايوانُ كسرى مهابـــةً وأُخمِدَ من نيران فارسَ لافـــحُ

وكان لانطفاء هذه النار الاثر المعنوي العظيم لانها رمز لدين الكفر على حد تعبير ابن الاحمر ت (٨٠٧ هـ) (٣) :

كما صح من اخماد نيران فـارس ومن بدء دين الكفر كان شرارهـا (٤)

ولم يغفل الشعراء ذكر السيدة حليمة السعدية مرضعة الرسول الكريم وما مـن الله تعالى عليها من خير ونعمة على اثر بركة هذا الرضيع المبارك يقول ابن الخبازة (٥) :

---

(١) نفح الطيب ٧/٤٥٣ .
(٢) ديوان الصيب : ٣٦٩ .
(٣) ابن الاحمر وهو الامير اسماعيل بن يوسف بن محمد ت (٨٠٧هـ) صاحب كتـاب نثير فرائد الجمان من نظم فحول الزمان .
(٤) نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان لابن الاحمر ودراسة في حياته وادبـه تحقيق محمد رضوان الدايه / ٣٧٩ .
(٥) ازهار الرياض ٢/٣٨١ .

وحُمّل ذاك الحلمَ حجر حليمة ... لترضعه دَرّ الفضائل صافيا
ابى حملَه النسوان لليتيم وانبرت ... له فرأت من حينها الرزقَ نامیا

ولقد كرمها الله تعالى ايضا بان جعل حادثة شق صدره الكريم تقع في حيها (١) . حين قام الملكان بشق صدره وغسله بماء الرضا يقول ابن الخبازة (٢) :

وفي حيها وافاه جبريل قاصدا ... واقبل ميكائيل بالامر تاليا
فشقا به صدر النبي لشرحه ... فكان لما يلقي له الله راعيا
ورداه في الحين التأما فما ترى ... سوى اثر مازال للشرح باقيا
وجاءا بمنديل وطست ليغسلا ... بماء الرضا قلبا عن الله راضيا

كما لم يغفل الشعراء الحديث عن لحظات تبليغه بالدعوة وذكر ما دار بينه وبين جبريل عليه السلام كقول ابن الحجاج يوسف (٣) :

جاءه الوحيُ انت خيرُ النـاس ... بلّغ الامر لاتخفْ من بـاس
وخذ العفوَ للأنـام وواس ... واحمهم من مكايد الوسـواس

هكذا تلقى رسول الله النداء من ربه على ان يصبح نبي هذه الامة وان يأخذ على عاتقه مسؤولية نشر الدعوة الاسلامية لما يتمتع به من خصال اهلته لحمل هذه المهمة الربانية يقول ابن الجنان (٤) :

سلام على من كان اشرف دعـوة ... بها شرف الله الخليل واحمدا

ولقد منّ الله تعالى على نبيه الكريم بصفات وخصال عظيمة لم يحظ بها احد من البشر العاديين ولقد استنبط الشعراء تلك الصفات من القرآن الكريم ومن السنة النبوية وكتب السيرة

---

(١) السيرة النبوية ١/١٧٦ .
(٢) ازهار الرياض ٢/٣٨٢ .
(٣) نفح الطيب ٧/٥١٦ .
(٤) ديوان ابن الجنان / ٨٢ .

وعطروا بها قصائدهم المدحية ، ومن تلك الصفات التي ميزت بهاء خلقته وخلقه صفة (الكمال الانساني) فقد كان رسول الله اكمل العالمين في خلقه واخلاقه وقد قال الله تعالى في حقه (وانك لعلى خلق عظيم) (١) . وقد عمد الشعراء الى اخذ معاني تلك الاية وتضمينها في قصائدهم فهذا ابن الخطيب يقول (٢) :

اكملُ العالمين خَلْقا وخلقـــا ... اشرفُ الناس في الندى والكفـــاح

ويقول ابو العلاء ادريس بن موسى القرطبي ت (٦٤٢ هـ) (٣) :

وفّقتَ يا من لم يخالِف نصّـــه ... حزت الكمال وليس تخشى نقصه

ثم ينفي الشعراء ان يكون هذا الكمال لغير النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، فهذا عـلاء الدين محمد بن عفيف الدين الايجـي الصفوي يقول (٤) :

كلُّ الكمال له به يُستـــدرك ... كنـه الكمالات التي لا تُـــدرك

وقد ربط الشعراء بين كماله صلى الله عليه وسلم وقوة شخصيته حيث مكنه كماله مـــن السيادة على قومه فهذا الامام ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله العطار يقول (٥) :

بمحمد حُللُ الكمال تُطـــرز ... ولمجده دُرَرُ السيادة تُفـــرز

ومن الصفات التي من بها الله تعالى عليه ايضا (الشجاعة) حيث كان متميزا بشجاعته تخشاه الاعداء في سوح الوغى ولقد وصف ابن الخلوف تلك الشجاعة خير وصف بقوله (٦) :

فسل عنه بدرا او حنينا وخيبـــرا ... ومكةَ والبطحاءَ والشِعبَ والحمى

---

(١) سورة القلم ، اية : ٥ .
(٢) ازهار الرياض ١/ ٢٤٢ .
(٣) نفح الطيب ٧/ ٤٤٣ .
(٤) المصدر نفسه ٧/ ٤٧٤ .
(٥) المصدر نفسه ٧/ ٤٨٢ .
(٦) ديوان احمد بن القسم الخلوف الاندلسي ، بيروت ، (١٨٧٣م) / ١٦٢ .

فكم مارد حلا وكم غيهبا جلا ... وكم سائل اغني وكم خائف حمى
اذا فعل الفعل الجميل اتمه ... وما كل فعال تراه متمما
وان حل متن الارض عاينت قسورا ... تسنم سبلا في مجاريه مضرما
وان شمرت عن ساقها الحرب لم تزل ... العداة لبأس الموت احمر عندما
ومجد كسى العلياء تاجا مرصعا ... وقلد جيد الدهر عقدا منظما

اما ابن الجنان فيصور لنا شجاعته عليه الصلاة والسلام وهو يتقدم جمع المسلمين ويقاتل الكفار بنفسه ويتعرض للجروح والطعنات الا ان عزيمته لاتلين وهمته لاتقل ولاتضعف وهو في كل ذلك لاينسى ان يدعو لقومه وهو يتعرض لاذاهم ويطلب لهم العفو والمغفرة(١) .

سلام على من جاد بالنفس طالبا ... رضى ربه الله ماكان اجودا
سلام على من شج في الحرب وجهه ... فكرر ربي اغفر لقومي وردد ا

وقد كان الرسول محمد صلى الله عليه وسلم اول (الزاهدين المعرضين عن الدنيا وحبها) كيف لا وهو الذى منذ ان كانت الدعوة الاسلامية وليدة سنينها الاولى رفض ماعرضته قريش عليه من اموال وسيادة وقد صور لنا ابن الجنان ذلك بقوله(٢) :

سلام على من لم تكن منه نظره ... الى نظرة الدنيا قلى وتزهدا
سلام على من كان يختار غيرها ... لذلك ما نادى الرفيق مردد ا
سلام على من طاب حيا وميتا ... وكرم غيبا في الانام ومشهدا

وفي مخمسة ابي علاء موسى القرطبي توضيح لنظرة الرسول صلى الله عليه وسلم الى الدنيا وكيف انه مثلها يظل زائل(٣) :

---

(١) ديوان ابن الجنان/ ٦٢ .
(٢) المصدر نفسه / ٩٢ .
(٣) نفح الطيب ٧/ ٤٤٣ .

طلق المحيا منهل للنائـــــل　　انحى على الدنيا بزهد كامـــل
هو مثل الدنيا يظل زائـــــل　　لم ترضه حال النعيم الحائـــل
ما حاول الترفيه والتنعيمـــــا

ويذهب ابن جابر الهوارى الى ابعد من ذلك في تصوير كره الرسول للدنيا الزائلـــه يقول (١) :

قد ابصرت عنده الدنيا تغابنهـــا　　نالت طلاقا ولم يصرف لها نظـره
تحريمه الحب للدنيا ورغبتـــــه　　عن زهرة الملك حقا عند ما نظـره

(والكرم) من السجايا الاصيلة لنبينا المصطفى عليه الصلاة والسلام فكان يتصف بكرمه الواسع وسماحته الرائعه حتى انه فاق كل كريم من البشر وكان بعطائه كالغيث الذى يعم الجميع ويصور ابن جابر الهوارى هذا الامر بقوله (٢) :

وان يكن كلّ كريم قد مضـــــى　　طلا فقد اضحى لنا غيثٌ جـــدا
كالبحر بل كالبدر جودا وسنـــا　　فحبذا من احتذى او اقتـــدى

بل ويذهب الشاعر الى ابعد من ذلك في تصوير كرم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم فيعيـــد الى اذهاننا شيم العربي الاصيل الذى يوقد النار ليلا لكي يهتدى بها الضالون والمـــــاره ويصلون اليه لينعموا عنده ويرتاحوا ولم يكن كرم الرسول العظيم لنيل عرض الدنيا والتباهـــي والتفاخر وانما هو بعض من سجاياه وخصاله التي جبله الله تعالى عليها يقول ابن جابر (٣) :

والمجد ايقاد ك نيران القـــرى　　يعشو لها في الازمات من عشـــا
والجود أن تعطي قباء للنـــدى　　لا لافتخار او لجاهٍ يُختشـــى (٤)

---

(١) نفح الطيب ٧/٣٢٥ .
(٢) المصدر نفسه ٧/ ١١ ٣ .
(٣) المصدر نفسه ٧/٣١٤ .
(٤) قباء : طعاما . ينظر لسان العرب (قبـو) .

كل هذه الصفات كانت مؤطرة بالحلم والاناة فلم يكن صارما في معاملته عليها في كلامه بل كان يتعامل مع الناس بصدر رحب ونفس راضية كما انه استخدم هذا الحلم اداة ووسيلة وهو يدعو الناس الى سواء السبيل يقول ابن الجنان :

محمد خيرُ هـــادٍ بحلمه وأناتِـــه (١)
محمد خيـــرُ داعٍ بالصدق من كلماتِـــه

ومن الصفات التي حباه الله سبحانه وتعالى بها (الرحمة) حيث منّ بها تعالى عليه ليُخرج اللهُ بها الناسَ من الظلمات الي النور فهذا ابن عربي ت (٦٣٨ هـ) يقول (٢) :

فقد جئتَ للاسلام بشرىً ورحمةً وللعالم الادنى وراثة كامـــلِ

ولقد كان الشعراء معتمدين في رسم هذا الجانب المهم من شخصيته على قوله تعالى (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) (٣) ويرى الشعراء هذه الصفة في شخصية الرسول الكريم كثيرا فهو رحيم باهله واصحابه واتباعه وبالمسلمين كافة .

ولقد كانت هذه الصفة ملازمة لشخصيته الكريمة الى ان اصبحت الرحمة التي يحنوا بها على المسلمين تغيظ العداة وتقهرهم يقول ابن جابر الهوارى (٤) :

يا مخفيا للناس ظل رحمـــة بات العدا منها على جمر الغضا

ويقر ابن زمرك هذه الحقيقة بقوله (٥) :

رحم الاله العالمينَ ببعثـــهِ فيهم وفضّلَ حسنه تفضيـــلا

---

(١) ديوان ابن الجنان / ٧٤
(٢) ديوان ابي عربي الحاتمي (ت : ٦٣٢ هـ) مكتبة المثنى ، بغداد / ٣٥٤ .
(٣) سورة الانبياء ، الاية : ١٠٧ .
(٤) نفح الطيب ٧ / ٣١٥ .
(٥) حياة واثار ابن زمرك / ٣٧٤ .

وغالبا ماتصاحب هذه الصفة صفة اخرى لاتقل عنها اهمية الا وهي (الرآفة) وهي رآفته بالمؤمنين وقد وصفه الله سبحانه وتعالى بالتنزيل الحكيم بقوله (رؤوف رحيم) (١) .

وهذا ابو الحجاج المنتشاقرى (٢) يعبر عن هذه الصفة بقوله (٣) :

ورؤوفٌ بالمؤمنين رحيـــــمٌ فعليه الصـــلاةُ والتسليـــمُ

وتأتي (الشفاعة) لتصبح عند الشاعر الاندلسي هدفا من اهداف مدحته ولربمـــا كانت باعثا له لكي ينشد القصيدة ويتغنى بحب الرسول محمد صلى الله عليه وسلم . وغالبـــا ماتحوم القصيدة حول مسألة الشفاعة والشفيع التي تعد احدى اصول العقيدة الاسلاميـة (٤) . فقد اوتيها من اجل جميع الامم ولم ينلها احد غيره (٥) . ولاسيما انه لايحول بين المسلم وبين غضب الله سوى شفاعته عليه افضل الصلاة والسلام . كل هذا جعل الشاعر يجهد املا في ان يحظى بهذه الشفاعة يوم العرض على الله سبحانه وتعالى فيقول ابن الخبازة (٦) :

وادٍ لما خافَ يُجْزَ بذنبـــه توسل بالمختار لله داعيـــا

فتاب عليه الله لما دعا بـــه وادناه منه بعد أن كان نائيا

حيث لم تقتصر هذه الشفاعة على البشر العاديين ، بل هو شفيع كل الانبياء والرسل ، فلقـــد توسل الرسل الكرام من قبل ايضا طالبين شفاعته فهذا ابن زمرك يوضح لنا ذلك بقول (٧) :

ياشافع الرسل الكرام ومَنْ بـــه يرجون من يوم الحساب قبـــولا

وقولـه (٨) :

ووسيلتي العظمى شفاعتك التي يلوذ بها عيسى وموسى ابن عمران

---

(١) سورة التوبة ، الاية : ١٢٨ .

(٢) الفقيه الاجل ابو الحجاج يوسف بن موسى المنتشاقرى الاندلسي ، انظر نفح الطيب ، ٥١٢/٧ .

(٣) نفح الطيب ٥١٦/٧ .

(٤) انظر في التصوف الاسلامي وتاريخه ، نيلكسون ، تعريب ابي العلاء عفيفي القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر (١٩٥٦) / ١٦٤ .

(٥) ينظر الاحاديث القدسية ومنزلتها في التشريع ، د . اسماعيل شعبان محمد ، الرياض (دار المريخ) (١٩٨٢) / ١٧٢ .

(٦) ازهار الرياض ٣٨٤/٢ .

(٧) حياة واثار ابن زمرك / ٣٧٥ .

(٨) المصدر نفسه / ١١٤

كل هذا دفع الشاعر الاندلسي الى التوسل بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم راجيا شفاعته يوم ييأس الناس الا من شفاعة رسوله ورحمة ربه فهذا عبد الكريم القيسي (ت : ٨٩٠ هـ) يقول معبرا عن ذلك(١) :

مالي الى ربي سواك وسيلة ... ارجو بها ان تمحو الاوزارا

مؤكدا خصوصية هذه الشفاعة التي لا حدود لها .

ولك الشفاعةُ في غدٍ مخصوصة ... ولك الوسيلةُ في الجنان جهارا

وعلى هذا استمر الشعراء في التوسل والرجاء طالبين شفاعته عليه افضل الصلاة والسلام حتى اصبحت اغلب قصائدهم المدحية تنتهي بهذا النفس المصحوب بالامل حتى اننا نجد ابن الجنان يستغرب لمن يقضي يوما لم يكفر به عن ذنوبه بذكر الشفيع بقوله(٢) :

ايذهبُ يومٌ لم اكفّرْ ذنوبَه ... بذكر شفيعٍ في الذنوب مشفّعِ

ولاسيما انه ادرك ان العناية التي حظي بها صلى الله عليه وسلم من عند ربه جعلته صاحب الشفاعة المقبولة عند الله سبحانه وتعالى (٣) :

فاشفعِ اشفعْ ياخاتمَ الرُّسْلِ يوم الـ ... حشرِ والمشهدِ المعظيمِ الفظيعِ

ومن الصفات التي اصبحت ركنا اساسيا من اركان المدائح النبوية هي (الحقيقة المحمدية) .

ولملخصها ان الله سبحانه وتعالى خلق محمدا وصوره من قبضة من نور قبل ان يخلق ادم عليه السلام ، وظلت هذه الصورة النورانية تنتقل عبر اجسام الانبياء من ادم حتى ظهرت جسميا في خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم(٤) ، واول من اشار الى هذه الحقيقة عمه

---

(١) ديوان عبد الكريم القيسي الاندلسي ، تحقيق د . جمعة شيخة ومحمد الهادي الطرابلسي ، بيت الحكمة / ٣١ .

(٢) ديوان ابن الجنان / ١١٧ .

(٣) ديوان ابن الجنان / ١١٨ .

(٤) انظر الوفا باحوال المصطفى ابن الجوزي ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، ط ١ ، القاهرة ، مطبعة السعادة ، دار الكتاب الحديث (١٩٦٦) / ٣٣ . كما ينظر في التصوف الاسلامي ، قمر كيلاني ، المكتبة العصرية ، بيروت (١٩٦١) / ٨٤ .

العباس بن عبد المطلب حيث قال بعد ان صرف الرسول من غزوة تبوك يارسول الله انـــي اريد ان امدحك فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم لايفضض ،الله فاك وانشأ في ذلك(١) :

من قبلها طبت في الظلال وفـــي ... مستودع حيث يُخصفُ الـــورقُ
ثم هبطت البلادَ لا بشرٌ انـــت ... ولا مضغةٌ ولا علـــــــق
تُنقل من صالب الى رَحِـــــم ... اذا بدا عالَمٌ بدا طبـــــق
وانت لما ولدْتَ اشرقـــــتِ الار ... ضُ وضاءت بنورك الافـــــق
فنحن ذلك الضياء وفي النـــــو ... ر سبل الرشاد تختـــــرق

فالعباس يشير الى ان الرسول قد استودع منذ القدم في صلب ادم وهو في الجنة ثم انتقـــل من صلبه الى اخر اشرف الى ان اضاءت الارض بمولده واشرقت وبهذا يكون العباس بـــــن عبد المطلب اول من بدء الاشارة الى هذه الحقيقة .

ان سماع الرسول الكريم لهذه القصيدة واجازته لها تدلل على ان الحقيقة المحمدية اسلامية في نشأتها الاولى وبصورتها النقية ويدعم هذا مارواه المقدسي من ان النبي صلـــى الله عليه وسلم سئل متى كنت نبيا ؟ قال كنت نبيا وادم بين الماء والطين وروى انه قـــال وادم مجندل في الطين(٢) .

ولقد عبر الشعراء الاندلسيون عن هذه الحقيقة بكل تفاصيلها وبدقة عالية جدا فهـذا ابن الخلوف(٣) يصرح بذلك بقوله :

نبي اضا قبل العوالم نـــورُه ... ولولا سناه لاغتدى الكون مظلمـــا(٤)
نبي تردّى المجدَ والبأسَ حُلّـــةً ... متوجة فيها الكمالُ تجسمـــــا
نبي بعلياه توســـــل ادمٌ ... فتاب عليه ذو الجلال وكرّمـــــا

---

(١) اسد الغابة في معرفة الصحابة ، عز الدين بن الاثير ، القاهرة ، المطبعة الوهبية ، (١٢٨٦هـ) ٢/١١٩ .

(٢) ينظر صحيح الترمذي ١٣/٩٦ وينظر البدء والتاريخ المقدسي ، اعتناء كلمان هوار ، باريس (١٩١٦) ٢/٢٦ .

(٣) ديوان ابن الخلوف / ١٦١ .

(٤) الاشارة الى قوله صلى الله عليه وسلم (كنت اول الانبياء في الخلق واخرهم فـــي البعث) السقا / ٣٦ .

وقد بلغ الشاعر بهذه الحقيقة مستوى عاليا في السمو حينما اكد في شعره الحقيقة القائلة بأن الكون انما خلق اجلالا وتكرمة للنبي العربي الكريم بقوله (١) :

نبيُ هُدىً لولاه لم يُخلقِ الـــورى ... ولا العرشُ والكرسيُ والارضُ والسمـا
هو الاولُ الهادي هو الاخرُ الذي ... تأخرُ رُسلا وخلقا تقدمـــــا

هكذا تفهم الشاعر الاندلسي هذه الحقيدة وعبر عنها خير تعبير وبين كيفية انتقال هذا النـور المحمدي عبر اجساد الانبياء الى ان استقر في جسده عليه افضل الصلاة والسلام .

ومثلما عطر الشعراء قصائدهم بذكر شخصيته وصفاته فقد لهجوا كثيرا بذكر (اسمائه والقابه) ونادرا ما نجد قصيدة تخلو من ذكر اسمائه النبيلة (كالمصطفى ، والمجتبى ، والمختار والحبيب ، والمنتقى) ويورد ابن الحجاج قسما من هذه الاسماء بشكل يؤكد مدى تبركـــه بتلك المعاني السامية والاسماء الكريمة بقوله (٢) :

مصطفى مجتبـى كريمٌ صفـوحٌ ... للنبيين جاهُهُ ممنـــوحُ

في حين يورد ابن زمرك قسما اخر من هذه الاسماء والالقاب بقوله (٣) :

المصطفى والمرتضى والمجتبـى ... والمنتقى من عنصر العليـــاء
خيرُ البريـة مجتباها ذخرُهـا ... ظلُ الاله الوارف الافيـــاء
تاجُ الرسالة ختمُها وقوامُهـــا ... وعمادُها الساعي على النظراء

وتتبع ابن الخطيب هذا الاسلوب نفسه بقوله (٤) :

يا مصطفى الرحمن والنور الـذي ... اخفى الظلال واظهر التوحيدا

---

(١) ديوان ابن الخلوف / ١٦٣ .
(٢) النفح ٧/٥١٤ .
(٣) حياة واثار ابن زمرك / ١١٨ .
(٤) ديوان الصيب : ٤٨٦ .

وعلى الرغم من كل ماقيل في صفاته فان الشعراء وقفوا عاجزين عن الاحاطة بها حيث تبقى الكلمات عاجزة عن الايفاء بحقه فهذا ابن الجنان يقول (١) :

سلام على من ليس يبلغ وصفَـــه ... بليغٌ وان مدَّ البيانُ له يـــدا

ويعترف ابن الخطيب بعجزه امام وصف من اثنى الله عليه ومدحه في كتابه الحكيم (٢) :

مَدَحْتُكَ اياتُ الكتابِ فما عســى ... يُثنى على علياك نظمُ مديـــحِ

واذا كتابُ اللهِ أثنى مُفْصحـــا ... كان القصورُ قصارَ كلِ فصيـــحِ

ونرى ابن الحجاج يوسف المنتشاقري يقف متسائلا عما عساه ان يقول بحق المصطفى وقـــد اتى فيه التنزيل الحكيم بقـولـه (٣) :

ما عسى مادحُ الشفيعِ يقـــولُ ... وبأمداحه قد اتى التنزيـــلُ

---

(١) ديوان ابن الجنان / ٩٣ .
(٢) الاحاطة ٤/٤٦٤ .
(٣) نفح الطيب ٧/٥١٥ .

الفصل الثاني

عناصر قصيدة المديح النبوي

عناصر قصيدة المديح النبوي

اشتملت قصيدة المديح النبوي على عناصر عدة شكلت البنى العامة لها ومن هذه العناصر :

أ- المعجزات :

كونت المعجزات عنصرا مهما من عناصر قصيدة المديح النبوي والمعجزة هي " امور خارقة لنواميس الطبيعة ويعجز عنها سائر البشر "(١) ، وكانت تلك المعجزات حاضرة في ذهن الشاعر يطرز بها قصائده المدحية وتتنوع المعجزات لتشمل معظم المظاهر المعروفة فمنها ما حدث للنبي صلى الله عليه وسلم مع الجمادات او مع الحيوانات والنباتات والماء وما الى ذلك وكانت على قمة هذه المعجزات القرآن الكريم وقد ادرك الشاعر الاندلسي عظمة هذه المعجزة واثرها فأخذ على عاتقه توضيحها شعرا بكل تفاصيلها حيث نرى ابن حيان النفزي يشير الى هذه المعجزة مبينا ان اعجاز هذا القرآن الكريم انما يكون بفصاحته وبقائه مابقيت السماء والارض، يقول(٢) :

يتلو كتابا من الرحمن جاء به ... مطهرا ظاهرا منه وتأويلُ
جارٍ على منهج الاعراب اعجزهم ... باقٍ مع الدهر لا يأتيه تبديلُ
بلاغة عندها كمّ البليغ فلم ... ينطقْ وفي هديه صاحت اضاليلُ
وطولبوا ان يجيبوا حين رابهم ... بسورة مثله فاستعجز القيلُ
قد انقضت معجزات الرسل منذ مضوا ... وهذه معجزات منها ذلك الجيل
ومعجزات رسول الله باقيةٌ ... محفوظة مالها في الدهر تحويل
تكفل الله هذا الذكر يحفظه ... وهل يضيع الذي بالله مكفول

---

(١) ينظر لمع الادلة ، عبد الملك الجويني تحقيق فوقيه حسين ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، ط ١ (١٩٦٥) / ١١٠ . وينظر معجزة القرآن والطوفان بين العلم والايمان ، المهندس جاسم محمد مرزة ، ط ١ ، مطبعة الحوادث ، بغداد ، (١٩٩٥) / ٢٢ .

(٢) ديوان ابن حيان / ٤٦٣ .

حيث اشار الشاعر الى قضية الحفظ الالهي للقرآن الكريم لقوله تعالى ((انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون))(١) . وقد اجمل ابن الخبازة خصائص هذه المعجزة العظيمة بقوله(٢) :

واعظمها الوحي الذي خصه بـه ... فبلّغه امراً فيه ناهيـا
تحدى به اهل البيان باسرهـم ... فكلهم الفاه بالعجز وانهـا
وجاء به وحيا صريحا يزيـده ... مرورُ الليالي جدةً وتعاليـا
واخبر عما كان او هو كائـن ... يرى ماضيا او مايرى بَعْدُ اتيا
ووافق اخبار النبيين كلهـم ... وتمم بالغايات منها المباديا

٢ـ اما معجزاته عليه افضل الصلاة والسلام مع ضروب الحيوانات المختلفة(٣) : فـأن كثرتها جعلت الشاعر الاندلسي ميالا الى تكثيف التعبير عنها باقل عدد ممكن من الابيات الشعرية فهذا ابن الخبازة يقول(٤) :

وآيته في خيمتي ام معبـد ... وفي الشاة اذ لم تبق تصحب راعيا
وفي الذئب اذ افضى واخبر فصحا ... عن المصطفى والذئب مازال عاويا
وفي الضب لما ان دعاه اجابـه ... وقال له لبيك لبيك داعيـا

اما ابن الجنان فيلفت النظر الى معجزة اخرى وهي تكلم الشاة الميتة المسمومة حيث اشارت لرسول الله بذراعها بان لاتاكل(٥) وذلك في مخمسته(٦) :

---

(١) سورة الحجر ، الاية : ٩ .
(٢) ازهار الرياض ٢ / ٣٩١ .
(٣) ينظر مسند احمد بن حنبل ٢ / ٣٠٦ ، وينظر شرح الشفا (٦٣٢ـ٦٤٢) فقد تضمن العديد من المعجزات في هذا الباب ولاسيما حديث الضب عند ما شهد للرسول محمد صلى الله عليه وسلم بالنبوة وحديث الذئب عند ما اخبر فصحا لراعي الغنم بنبوته ، والظبية والبعير وغيرها . كما ينظر قصة الشاة وحليبها دلائل النبوة / ١١٧ . وماحصل للذئب مع الراعي دلائل النبوة / ١٣٣ . كما ينظر ماحصل له مع الظبية البداية والنهاية لابن كثير ٦ / ١٧٠ . ولسان الميزان لابن حجر ٦ / ١٢٤ .
(٤) ازهار الرياض ٢ / ٣٩٠ .
(٥) ينظر شرح الشفا : ٦٣٧ .
(٦) ديوان ابن الجنان / ١٥٣ .

سجد البعير له سجود تذلـل (١)
وشكا اليه بحرقة وتململ
والشاة قال ذراعها لاتأكل
مني فأني قد سُمّتُ سمومـا صلوا عليه وسلموا تسليمـا

ويذهب ابن الجنان الى عرض تلك المعجزات بصورة تفصيلية وشاملة لمختلف ضروب الحيوانات التي حصلت له معها بقوله (٢) :

سلام على من ظللته بمكـة حمامٌ حكت ظل الغمام الممدا
سلام على من افهمت سر فضله بهائمُ لم يفهمن من قبلُ مقصدا
سلام على من قد رجاه لبؤسه بعير شكا ممن اجاع واجهدا
سلام على من اعظم الشاء شأنه فأبدى لموجه الخشوع واسجدا
سلام على من اسمعت ظبية الفلا نداء ان اشفع لي لدى من تصيدا
سلام على من قال للضب من انا فقال له انت الرسول ووحدا
سلام على من افصح الذئب ناطقا بتصديقه فاعجبْ لذلك واشهدا

ونرى حازم القرطاجني (ت : ٦٨٤ هـ) ينقل لنا في تفسيره لقصيدة امرئ القيس التي صرف معناها للمديح النبوي معاني الحوار الذي دار بين رسول الله وبين الظبية بقوله (٣) :

الم تر ان الظبية استشفعت به (تميل عليه هونة غير مجبال)
فقال لها عودي فقالت له نعم (ولو قطعوا رأسي لديك واوصالي)

---

(١) ينظر (سجود البعير) في مسند احمد بن حنبل ٣/ ١٥٠ ، ودلائل النبوة ١٣٧ . والبداية والنهاية ٦/ ١٥٥ .
(٢) ديوان ابن الجنان / ٧٨ .
(٣) ديوان حازم القرطاجني ، تحقيق عثمان كعاك ، توزيع بيروت ، لبنان ، طبع بمطبعة السعدية (١٩٦٤) / ٨٩ . وينظر ديوان امرئ القيس تحقيق محمد ابو الفضل / ٣٢ .

٣ـ ومن معجزاته عليه افضل الصلاة والسلام ماحدث له مع الجمادات كحنين الجذع (١)، وسعي الشجر (٢)، وتكلم الحصى وتسبيحها في كفه الى غير ذلك من المعجزات في هذا الباب.

فقد تناول الشعراء هذه المعجزات بشكل تفصيلي معبرين عنها بوضوح وبدقة مصورين ذلك بمنتهى الجمال والروعة فنرى ابن الخيازة يشير الى معجزة حنين الجذع بقوله (٣):

وايته اذ فارق الجذعَ فضلُـــه فحن اليه الجذعُ في الحال شاكيا

في حين نرى ابن حيان النفزي يشبه هذا الحنين بحنين الام التي تثكل بولدها (٤).

والجذع حن اليه حين فارقـــه حنينَ ولهى لها للروم مثكـــول

ويذهب ابن الاحمر الى تصوير هذا الحنين تصويرا رائعا مشبها اياه بحنين الناقة العشـــار وهو اشد الحنين بقوله (٥):

وحن له جذعٌ من النخل يابسٌ كما حنَّ من نوق العراق عشارُهـــا

واحيانا يجمع الشاعر بين اكثر من معجزة من هذه المعجزات في بيت او مقطوعة واحدة فهـــذا ابو القاسم ابراهيم بن محمد يجمع بين حنين الجذع وتسبيح الحصى بقوله (٦):

والجذع حن له وسبحت الحصـى في كفه العظمى بغير لسـان

اما ابن الجنان فيجمع بين سعي الشجر وحنين الجذع بقوله (٧):

سلام على من جاءه الشجر الـذى دعاه يجر النفس اخضر املدا

سلام على من حن حين فراقـــه له الجذع لم يستطع بوجد تجلدا

---

(١) قصة حنين الجذع مفادها ان الرسول كان اذا خطب يقوم على جذع قد بني عليـــه المسجد فلما صنع المنبر وخطب من عليه سمع لهذا الجذع صوتا كصوت الناقة عند حنينها ينظر، سنن ابن ماجة / ١٤١٥. وسنن الدارمي ١/ ١٩ وينظر شرح الشفا: ٦٣١.

(٢) ملخص هذه المعجزة ان الرسول التقى اعرابيا فقال له ياأعرابي اين تريد؟ فقال له: اهلي، فقال له هل لك الى خير؟ قال: وماهو؟ قال: تشهد ان لا اله الا اللـــه وحده وان محمد عبده ورسوله. قال ومايشهدك على ماتقول؟ قال هذه الشجـــرة، فاقبلت تخد الارض قربا بين يديه فشهدت ثلاثا. فشهد ثلاثا ثم رجعت الى مكانها، انظر شرح الشفا: ٦١٥. كما ينظر دلائل النبوة للاصبهاني / ١٤١.

(٣) ازهار الرياض ٢/ ٣٩٠.

(٤) ديوان ابن حيان: ٤٦٣.

(٥) نثير فرائد الجمان: ٣٨٠.

(٦) الكتيبة الكامنة: ٣٠٣.

(٧) ديوان ابن الجنان: ٨٨.

ومن معجزاته الاخرى التي حصلت له مع الجمادات تحول جزل الحطب الى سيف بقدرة الله تعالى (١) ، ومن ذلك قول لسان الدين بن الخطيب (٢) :

وفي يوم بدر راذ روى قبضة الثرى ... فولت جموع الشرك وهي جوامح
واعطى عسيب النخل في حومة الوغى ... فهُزَّ حساما منه للدم سافح

٤ـ اما المعجزات التي رافقت هجرته الى المدينة (٣) ، فقد وقف الشاعر الاندلسي من حادثة الهجرة من مكة الى المدينة موقف المؤرخ الذى تابع الاحداث بتسلسل تاريخي يتقصى من خلالها تفاصيل تلك الرحلة مشيرا الى اهم المعجزات التي رافقتها مبتدءا بخروج الرسول من بين ايدى الكافرين وقد اعمى الله بصرهم وبصيرتهم ((وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لايبصرون)) (٤) ، وقد عبر ابن الجنان عن ذلك بقوله (٥) :

سلام على من اعشيت اعين العدى ... وقد بيتوه قُصَّدَ الفتك رُصَّدا
سلام على ملقي التراب عليهم ... وبُتَّ (عليا) في الفراش موسدا

وتحدث الشاعر عن معجزة العنكبوت والحمامة التي حطت عند باب غار حراء يقول ابن الخلوف (٦) :

وفي الغار نسج العنكبوت ابانه عن ... فخار به باض الحمام وخيما

ولعل ابن الخبازة هو اوسع من تحدث عن المعجزات التي رافقت الهجرة حيث سرد هذا سردا تاريخيا فصلها تفصيلا دقيقا (٧) :

---

(١) وهذه المعجزة حدثت يوم بدر راذ انكسر سيف احد المسلمين وهو عكاشة بن محصن الاسدى في اثناء القتال فجاء رسول الله فأعطاه قطعة من حطب فاصبحت سيفا بيده ، انظر : سيرة ابن هشام ٢ / ٣٩٠ .
(٢) ديوان الصيب : ٣٦٨ .
(٣) لقد رافقت الهجرة جملة معجزات منها خروجه صلى الله عليه وسلم من بين ايدى قريش من دون ان يراه احد ثم موضع سراقه وفرسه ، وقضية العنكبوت والحمامه وغيرها ، انظر السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٤٩٨ .
(٤) سورة يس ، آية : ٩ .
(٥) ديوان ابن الجنان : ٩١ .
(٦) ديوان ابن الخلوف : ١٦٤ .
(٧) ازهار الرياض ٢ / ٣٨٧ .

وآيته في الغار اذ نزلا بـــه ... وكان له الصديق بالصدق ثانيـا
وقد ارسل الله الحمام لبابـه ... وقارنه بالعنكبوت مضاهيـا
فباض على الفور الحمام وشيدت ... من النسج ايدي العنكبوت مبانيا
فدافع عن صدّيقه ورسولـه ... بأضعف اسباب الوجود مقاويـا
وكم آية خصت سراقه اذ مشـى ... على اثر المختار للغار عانيـا (١)
فشاهد اثارا من الخسف كاد ان ... يكون لقارون السفاه مؤاخيـا
واخبره أنْ سوف يفتح امـرُه ... مدائن كسرى والبلاد الاقاصيـا

٥- ومن معجزاته الاخرى نبع الماء من بين اصابعه الشريفة وتكثيره ببركته (٢) وتفجيـر الماء من بئر معطلة ولقد عبر الشاعر الاندلسي عن هذه المعجزة خير تعبير مشيـرا الى انفجار الماء من بين اصابعه من مواضع عدة يقول ابن الخبازة (٤) .

وفي قصة الزوراء للخلق أيـة ... وذكرى لعبد كان للذكر ناسيـا
دعا باناء ليس ينفـع مـاؤه ... لقلته بالرى من كان صاديـا
ففاض نمير الماء بين بنانـه ... وكان وضوءا للكتيبة كافيـا

وكما وضح ابن الجنان فيضان الماء من بين اصابعه مقارنا ذلك بتفجير عصا موسـى للماء بقوله (٥) :

سلام على من فاض بين بنانـه ... من الماء ينبوع كما فض بالندى
سلام على من فجر الماء سهمـه ... فحاكى عصا موسى يفجر جلمـدا

---

(١) ينظر المعجزة التي احاطت سراقة في مسند احمد بن حنبل ١/ ٣ ودلائل النبوة/ ١١٥ .
(٢) حدث ذلك في الحديبية حين امر الرسول بالاقامة لصلاة العصر ولم يجد المسلمـون ماءا فطلب اناءا فوضع فيه كفه الشريفة المباركة فنبع الماء من بين اصابعه فتوضأ منـه المسلمون وشربوا كلهم ، ينظر مسند احمد بن حنبل ١/ ٤٦٠ ، وينظر شرح الشفـا : ٥٩٢ . ودلائل النبوة : ١٤٤ .
(٣) حيث تفجر الماء من بئر كان فيه الماء شحيحا فما ان غسل فيه رسول الله حتى اصبـح الماء كثيرا جدا ، ينظر الاكتفاء لابن الربيع : ١٦٠ . كما ينظر شرح الشفا : ٥٦٢ .
(٤) ازهار الرياض : ٢٩٠ .
(٥) ديوان ابن الجنان : ٨٩ .

وكرر ابن الاحمر ذكر هذه الحادثة بقوله(١) :

انامله امواهها قد تفجـــرت فروى عطاشا قد رواها انفجارُهـا
اليس عجيبا بين لحم ومـــن دم تسيل مياه لايُرام انهمارُهـــا

ويذهب الشاعر الاندلسي الى اكثر من ذلك الوصف ، حيث استعار كلمـــة (الحياة) ليكني بها عن هذا الماء فكأنه تبسر قوله تعالى ((وجعلنا من الماء كل شـــيء حي))(٢) كقول ابي القاسم ابراهيم بن محمد (٣) :

وجَرتْ بأنمُلِهِ حياةٌ فارتـــوت منها عساكرُ جيشه الضمـــآنِ

ب- ومن معجزاته تكثير الطعام ببركته ودعائه(٤) :

وهي واحدة من معجزاته التي استطاع الشاعر الاندلسي ان يطرز بها قصائده المدحية بشكل بين ، يقول ابن الخبازة معبرا عن هذه المعجزة(٥) :

واشباعه الجمَّ الغفيرَ بقبضـــة من التمر حتى اهدروا التمر باقيـا

كما اك محمد بن احمد ولد (٧١١ هـ) هذه المعجزة بقوله(٦) :

من اطعم الالف بصـــا ع في صحيح الخبـــر

ولطالما وقف الشاعر مازجا بين هذه المعجزة وبين معجزة تدفق الماء من بين اصابعه الشريفة فنرى ابن الخلوف يشير الى ذلك بقوله(٧) :

واطعم السفا من صواع فاشبعـوا وروّى بمعشر جيشه من لظى الظما

كما اشار الى ذلك عبد الكريم القيسي بقوله (٨) :

وكم من طعام قلّ عاد بجاهـــه كثيراً وماءٍ فجرته الانامـــل

---

(١) نثير فرائد الجمان : ٣٨٠.
(٢) سورة الانبياء ، اية : ٣٠.
(٣) الكتيبة الكامنة : ٣٠٣.
(٤) انظر هذه المعجزة في صحيح البخاري ٧/ ٩٠، وصحيح مسلم / ١٧٥ في هذا الباب كما اوردها صاحب الاكتفاء / ١٦١ وينظر شرح الشفا : ٦١٠.
(٥) ازهار الرياض ٢/ ٣٩١.
(٦) الاحاطة ٢/ ١١٤.
(٧) ديوان ابن الخلوف / ١٦٤.
(٨) ديوان عبد الكريم القيسي . ٣٤.

٧ـ ومن معجزاته عليه افضل الصلاة والسلام الاسراء والمعراج (١) . ولهذه المعجزة خصوصيتها التي فخر بها المسلمون ولاسيما ان الله سبحانه وتعالى عرج بنبيهم الى السموات العلى وانه قد امّ الرسل عليهم السلام في هذه الليلة المباركة ولقد عبر الشعراء الاندلسيون عن هذه المعجزة بفرح وسرور متفاخرين بنبيهم لما حصل له من تكريم على اثر هذه المعجزة بحيث اننا لو تتبعنا ماقيل فيها لاطلنا واسهبنا ولكننا سنقتصر على ماقاله ابن الجنان فيها (٢) :

سلام على من خصه الله بالعلا ... واسرى له فوق السموات صعدا
سلام على من سار في الليل سيدا ... فزار من البيت المقدس مسجدا
سلام على من رحبت بقدومه ... ملائكةٌ قالت له : اصعد لتسعدا
سلام على من حلّ بالسدرة التي ... هي المنتهى فاحتل للصدق مقعدا
سلام على من كان من قرب ربه ... كقاب ولا ابن هناك ولا لدى
سلام على من اسند الله وحيه ... اليه فمن اسناده الدين اسندا
سلام على من أمّ بالرسل مسيها ... فاضحى اماما للنبيين سيدا

لقد فصل ابن الجنان القول في هذه المعجزة تفصيلا دقيقا مبتدءا من بداية مسيرته حتى عروجه جامعا الاحداث التي حصلت له في الارض معتمدا احيانا في تصورها على القرآن الكريم فنراه يقتبس قوله تعالى ((كقاب قوسين او ادنى)) (٣) كما اقتبس من قوله تعالى ((ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى)) (٤) مبينا ماحصل له من التكريم عند مسا ام الرسل كافة ونال السيادة والامامة .

---

(١) ينظر الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ، مطبعة المشهد الحسيني ، القاهرة ، د . ت ، ١/١٤٣ . كما ينظر الترغيب والترهيب للمنذري ٣/ ٠ .
(٢) ديوان ابن الجنان : ٨٢ . كما ينظر ديوان الصيب : ٣٨١ وينظر نثير فرائد الجمان : ٣٨٤ .
(٣) سورة النجم ، آية : ١٠ .
(٤) سورة النجم ، آية : ١٥ .

٨- انشقاق القمر (١) وحبس الشمس (٢) . وهي من معجزاته المشهودة عليه افضل الصلاة والسلام حيث كانت براهين على صدق الرسالة المحمدية فكان لهذه المعجزة الاثر البالغ في نفوس المسلمين ويربط ابن حيان بين هذه المعجزة وبين معجزة انفلاق البحر لموسى عليه السلام (٣) :

وللرسول انشقاق البدر نشهده ... كما لموسى انفلاقُ البحر منقول

وغالبا مايجمع الشاعر الاندلسي بين انشقاق البدر وانحباس الشمس في اشعاره كما نلاحظ ذلك عند ابن الجنان بقوله (٤) :

سلام على من اظهر الله صدقه ... وشق له البدرَ المنيرَ ليشهدا

سلام على من رُدّت الشمس اذ دعا ... وقد كان سحب الليل يسدل اسودا

كما نجده في قوله في احدى مخمساته (٥) :

البدر شق له ليظهر صدقه

والشمس قد وقفت تعظم حقه

٩- ومن معجزاته عليه افضل الصلاة والسلام انه كان مستجاب الدعاء وخير مالفت نظر الشاعر الاندلسي في هذا الباب قصته مع السحابة (٦) . وقد عبر الشاعر الاندلسي عن تلك المعجزة خير تعبير كما في قول ابن الخطيب (٧) :

---

(١) ومفادها ان الكفار قد طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأيتهم بمعجزة وكان ذلك بمكة قبل الهجرة فكانت هذه المعجزة حيث انشق القمر على جبل حراء قال ابن مسعود رأيت الجبل بين فرجتي القمر وقال رسول الله اشهدوا . ينظر شرح الشفا : ٥٨٤ . كما ينظر المعجم الكبير للطبراني ١٠/٩٤ .

(٢) حيث حبست الشمس عند ما ارسل الرسول علي بن ابي طالب في مهمة وتأخر ولم يصل العصر فحبست الشمس ساعة حتى صلى وعند ما حصلت المجاعة ايضا والناس ينتظرون القوافل دعا رسول الله (ص) عند الغروب وحبست ساعة ايضا . انظر شرح الشفا : ٥٩٨ .

(٣) ديوان ابن حيان : ٤٦٤ .

(٤) ديوان ابن الجنان : ٨٦ .

(٥) المصدر نفسه : ١٥٢ .

(٦) ينظر صحيح البخاري ٢/١٥ . قصة السحابة مفادها ان المسلمين لما عطشوا طلبوا من رسول الله وبلسان عمر رض الله عنه ان يغيثهم فجاءت سحابة فسقتهم حاجتهم ثم اقلعت ودعا للاستسقاء في يوم الجمعة من على المنبر فسقوا حتى خافوا شدة المطر فشكوا اليه المطر في الجمعة الثانية فدعا فانجلت صحوا . ينظر شرح الشفا : ٦١٠

(٧) ديوان الصيب : ٣٦٨ .

دعا الله يستسقي فلبت سمـــاؤه بواكـــه القطر السحاب الدوالح

ونجد ابن زمرك واقفا عند هذه المعجزة مسورا اياها بصورة دقيقة(١) :

بدعائه قشع الغمام وقبلهـــا والت بدعوته الهمام همـــولا

١٠ــ ومن معجزاته شفاء المرضى ومنها رد عين قتادة(٢) ، وغيرها من المعجزات في هذا الباب فقد عبر الشاعر الاندلسي عن هذه المعجزة تعبيرا مؤثرا يقول ابن الخلوف(٣) :

اعاد بنفث الريق عين قتـــادة فكانت من الاخرى اجل توسمـــا

وابراء عيني حيد ريوم خيبـــر وانبت شعر الاقرع الرأس محكمـــا

ويوكد ابن الجنان هذا المعنى مشيرا الى قوة ابصارها وشدته بعد ان مسح عليها بيـــده الكريمة بقوله (٤) :

سلام على من رد عين قتـــادة فزادت ضياءا حين مد لها يـــده

ب ــ التشوق الى اراضي الحجاز والضريح النبوى الشريف :

يعد التشوق عنصرا مهما من عناصر قصيدة المديح النبوى التي يتعرض الشاعر مـــن خلالها الى ذكر سجايا الرسول محمد صلى الله عليه وسلم والحنين الى الاراضي التي شهدت في يوم ما اشراقة الرسالة المحمدية فضلا عن انها ضمت ضريحه عليه افضل الصلاة والســـلام . وكان اهـل الاندلس يتحرقون شوقا الى زيارة الرسول لان بعد المزار غزا قلوبهم باقبـــام الحنين(٥) . فكانت امنية الشاعر الاندلسي ان يصل الى القبر النبوى الشريف لكي يعفر خده

---

(١) حياة واثار ابن زمرك : ١٢٠ .

(٢) هو قتادة ابن النعمان بن زيد بن عامر الانصارى الاوسي شهد المشاهد كلها مـــع رسول الله (ت : ٢٣ هـ) كان من الرماة المشهورين في بدر الكبرى ولما اصيبـــت عينه جاء الى رسول الله يشكو حاله فنفث عليها رسول الله فاعاد ها اليه . انظر فـــي ذلك شرح الشفا : ٦٥١ .

(٣) ديوان ابن الخلوف : ١٦٣ .

(٤) ديوان ابن الجنان : ٩٠ .

(٥) ينظر التصوف الاسلامي في الادب والاخلاق د. زكي مبارك ، صيدا ، بيروت ١ / ٢٣٩ .

بتربته الكريمة طالبا بذلك الاجر من الله يقول ابن جزى (١) :

منى النفس في تلك المعاهد زورة ... ابث بها شكوى واشكو بها وزرا

ومع كل هذه الرغبة الجامحة في زيارة اراضي الحجاز الا ان الشاعر يعجز عنها لاسباب تحول بينه وبين ذلك ولعل القدرة المادية من اهم تلك المعوقات (٢) .

وعند ما وقف الشاعر عاجزا عن تحقيق امنيته في تحقيق الزيارة فقد اكتفى بارسال تحياته وسلامه الى ضريحه عليه افضل الصلاة والسلام تارة مع الشمس والريح والبدر وتارة مع الركب الميمون فهذا ابن الخطيب يقول (٣) :

يكلف قرسَ البدر حملَ تحيةٍ ... اذا ما هوى والشمسَ حين تغيبُ

لترجعَ من تلك المعالم غدوةً ... وقد ذاع من رد التحية طيب

ويستودع الريحَ الشمالَ شمائلا ... من الحب لم يعلم بهن رقيب

ويطلب من جيب الجنوب جوابَها ... اذا ما اطلت والصباح جنيب

وقد يحمل الشاعر الاندلسي الركب الحادي سلامه وتحياته الى قبر الرسول فهذا احمد الغيتوري (٤) يقول (٥) :

بالله خذ عني تحية نازح ... لم يبق فيه اليوم فيما يطمعُ

واقرأ على الجزع السلام وسحَّ من ... قطرات دمعك حيث تلك الارسعُ

وقد يأسف الشاعر ويلتمس العذر من رسول الله لعجزه عن زيارة تلك الديار كما في قول ابي بكر السلاوي (ت : ٥٣٦ هـ) (٦) :

---

(١) ابن جزى عبد الله بن محمد بن احمد بن محمد ، ينظر الاحاطة ٣/٣٩٥ـ ٣٩٦ .
(٢) ينظر الاحاطة ٣/٥٦١ . كما ينظر ديوان ابن الابار : ٤٤٤ .
(٣) ديوان الصيب / ٣٢٠ .
(٤) انظر ترجمته في الاحاطة ١/٣٣٧ .
(٥) الكتيبة الكامنة : ١٣٧ .
(٦) زاد المسافر وغرة محيي الادب السافر لابي بحر صفوان بن ادريس التجيبي اعده عبد القادر مقداد ، بيروت ، لبنان : ١٥٩ .

يارسول الله شكوى رجـــل ... عذر الدهر عليـــه السبـــلا
ليس بي ان افقد الاهـــل ولا ... افقد المال معا والخـــولا
انما بي حين يدنـــو اجلـــي ... لست القاك والقى الاجـــلا

ولقد صور الشعراء الاندلسيون الرحلة من الاندلس الى تلك الديار المقدسة بكـــل تفاصيلها منذ الوهلة الاولى وهي شد الرحال والعزم فهذا ابن خلدون (ت : ٨٠٨هـ) يقول واصفا لنا حاله عند الوداع لذلك الرحل (١) :

• اسرفن في هجرى وفي تعذيبـي ... واطلن موقف عبرتي ونحيبـــي
وأبَيْنَ يوم البيـــن موقف ساعـــة ... لو ذاع مشغوف الفؤاد كئيـــب
لله عهد الضاعنين وغـــادروا ... قلبي رهينَ صبابة ووصيـــب
غُرْتُ ركائبُهم ود معي سافـــحٌ ... فشرقت بعدهم بماء غـــروب

وما ان تنطلق تلك الرحلة حتى يأخذ الشعراء بوصف مايعانونه في رحلتهم ومايلاقونه في طريقهم الى ان يتم لهم الوصول الى تلك الديار يقول ابن الخطيب (٢) :

لله در ركائب قطعت الـــى ... مغنـى ثراك تهائما ونجـــودا
قوم اقام بعزهم داعي الهـــوى ... فاستشعروا التقوى وجابوا البيدا
لبسوا الهجير وصافحوا غبر الفلا ... وسلوا لصارمها بهن وقـــودا

ولم تقتصر رحلتهم على الصحراء وما يقاسونه من ظمأ وحر بل هم قطعوا البحار قبـــل الصحراء (٣) :

وصافحوا البيد بعد اليم وابتدروا ... سبلا بها لجناب الله توســـل

---

(١) الاحاطة ٣/٥٨٠ .
(٢) ديوان الصيب : ٤٨٦ .
(٣) ديوان ابن حيان النغزي : ٤٦٢ .

ونرى الشاعر يصف لنا حال ذلك الركب الميمون بقوله : (١)

سَبُوقُهم طَرِبٌ نحو الحجاز فهم ... ذو ارتياح على اكوارها ميل

شُعْثُ رؤوسهم بِيضٌ شفاههم ... غُرٌّ عيونهم سُمْرٌ مهازيل

ولم يقتصر الشاعر في وصفه على القوم بل كان وصف الراحلة التي تحمل هؤلاء القوم وماتعانيه من صعوبات جمة هي الشاغل الثاني الذى شغل الشاعر في وصفه فهذا علي بن محمد بن حسن الانصارى (ت : ٦٣٣ هـ) يصف حالة النوق وماتعانيه بقوله (٢) :

• ياحُداةَ العيس رفقا انها ... شكتِ الجهدَ وبُعدَ المرتمى

طاويات لم يدع منها السُّرى ... ود خيلُ الشوقِ الا الاعظما

جنّبوها موردَ الماء فقد ... حرّمْنَهُ او تزورَ الحَرَما

ياخليلي رويدا انها ... لتعاني الشوق مثلي فاعلما

مشيرا الى تعب هذه النوق وهي تنقل زوار النبي ومحبيه . وهذا ابن الجياب (ت: ٧٤٩هـ) (٣) يرفق بهن ويقول (٤) :

رفقا بهن فهن خلقٌ مثلكم ... إنضاءُ اسفار قطعن مناد حسا

قد جُبن للهادى وهادأ جمةٍ ... وسلكن نحو الابطحي اباطحا

وما ان تشرف تلك النوق على الوصول حتى يتصاعد هيامها وشوقها (٥) :

وهرولتْ فرحةً ومدّتْ ... اعناقها تطلب اللقا

وسارعت عند ما تبدت ... لها خيامٌ على التقى

---

(١) ديوان ابن حيان الغرناطي : ٤٦٢ .

(٢) الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة لابن عبد الملك عبد الله المراكشي ٥ / ١٩٤ .

(٣) ابن الجياب هو علي بن محمد بن سليمان الانصارى (ت : ٧٤٩ هـ) أنظر الاحاطة ٤ / ١٢٥ .

(٤) الاحاطة ٤ / ١٣٠ .

(٥) حياة واثار ابن زمرك : ٤٨٩ .

هـكذا كانت حالة رحلة الركب الميمون قاطعين البحار والصحارى والسهول والجبال وصولا الى تلك الاراضي المقدسة وما ان يكونوا على مشارف طيبة حتى تعم الفرحة وجوه القوم وتكون البشارة والفرحة اعظم من ذلك عند الوصول حيث تنقضي تلك اللهفات والحسرات التي طالما عانى منها اولئك المشوقون فهذا ابو يزيد احمد الفيتوري يقول (١) :

بشراك ياقلبي فقد نلت المنـــا ... وبلغت ماتهوى وما تختـــارُهُ
قد امكن الوصل الذى أملتـــهُ ... وكذاك حبي امكنت اســـرارُهُ

وعند ضريحه افضل الصلاة والسلام تنهمل الدموع وتستغفر الذنوب التي لايرتجى لكشفها الا الله سبحانه وتعالى وشفاعة رسوله يقول مالك بن المرحل يشكي ماحل بالمسلمين : (٢)

وقلّ له نظمي ونثرى وان أرَ ... فيما حوالي قبره اصفُ البلـــوى
وخوف محب يشتكي الم الهوى ... وقلبا قلاه البين في ناره قلـــوا
وقائع هذا الدهر اهلكت الورى ... وماتركت صبرا ولاكبدا خلـــوا

ولم يقتصروا على بث همومهم وماحل بهم من مصائب الدنيا بل كانت غايتهم الكبرى شفاعته التي يرتجيها المسلمون ذاكرين ذنوبهم واقفين متضرعين متمنين ان يشملهم بشفاعتـــه عليه افضل الصلاة والسلام (٣) .

ذكـر الاماكـن الحجازيـــة :

لطالما اشتمل عنصر التشوق على ذكر وترديد بعض اسماء الاماكن الحجازية التـــي شهدت احداث الرسالة الاسلامية فكانت طيبة من اهم تلك الاماكن التي كان لها حضورهـــا المتميز ولاسيما انها شرفت باحتواء جسده الطاهر الشريف يقول ابن عربي (٤) :

يا حبذا المسجدُ من مسجـــدٍ ... وحبذا الروضةَ من مشهـــد
وحبذا طيبةُ في بلـــــدةٍ ... فيها ضريح المصطفى احمـــد

---

(١) الكتيبة الكامنة : ١٣٦ .
(٢) المعشرات اللزومية لابن المرحل هلال ناجي : ٥٢٧ ، مجلة المورد ، المجلد التاسع العدد الرابع / ١٩٨١ .
(٣) انظر الاحاطة ٤ / ٨١ .
(٤) نفح الطيب ٢ / ١٨٤ . كما ينظر المصدر نفسه ٧ / ٣٠٥ ـ ٤٩٠ .

كما ترنم الشعراء ايضا بذكر نجد حتى غدت رمزا ينطوى على صور ومعاني يسعى لها المسلمون في كل بقاع الارض لما يثيره هذا اللفظ من مشاعر جياشة فهذا لسان الدين ابن الخطيب يقول (١) :

تألق نجد يا فاذكرني نجدا ... وهاج بيَ الشوقَ البرحَ والوجدا
سقا الله نجدا ما نظمتَ بذكرها ... على كبدى الا وجدتَ لها بردا

ومن الاماكن الحجازية التي تغنى بها الشاعر الاندلسي (العقيق) التي جعلها الشاعر رمزا للنغمات القدسية ، يقول ابن جابر (٢) :

لاتعقني عن العقيق فانني ... بين اكنافه تركتُ فؤادى
وعلى تُربهِ وقفت دموعي ... ولسكانه وهبت وداد ى

وكانت (سَلْع) من ضمن تلك الديار ايضا يقول ابن جابر (٣) :

قد اقاموا بين العقيق وسلع ... فحياة النفوس حيث اقاموا

وكذلك لهج الشعراء بذكر الاماكن التي تقام فيها مناسك الحج يقول ابن الجنان (٤) :

لهم في مِنى أسنى المُنى ولدى الصفا ... يُرَجّون من اهل الصفاء المناهجا

ويرى ابن زمرك ان ذكر تلك الاماكن المقدسة واجب على الشاعر لما تحمله من ذكريات وما شهدت من احداث الرسالة الاسلامية (٥) :

حيث الربوع بنور الوحي اهِلَّةٌ ... من حَلّها إحْتَسَبَ الامال مقترحا
حيث الرسالة تجلو من عجائبها ... من الجمال بنور الله [illegible]
حيث الضريحُ بما قد ضمّ من كرم ... قد بَذّ بالفخر من قد ساد او نصحا

---

(١) ديوان الصيب : ٤٧١ .
(٢) نفح الطيب ٣/٣٦٩ .
(٣) المصدر نفسه ٧/٣٧٠ .
(٤) ديوان ابن الجنان : ٧٥ .
(٥) حياة واثار ابن زمرك : ٣١٤ .

يا جهذا بلدة كان النبي بهـا ... يلقى الملائـك فيها اية سرحـا
يادار هجرته يا افق مطلعـه ... لي منك بدر بغير الفكر مالمحـا

جـ ـ التبرك بالاثر النبوى (النعل النبوية) :

لم يفت الشاعر الاندلسي ان يذكر في مدائحه النعل النبوية متبركا بها حيث يشير المقرى الى ان لها رسم تمثال في دار الحديث الاشرفية بدمشق ، وان الناس والائمة قد اقتنوا بتمثالها (وحق على كل مؤمن ان يغلي لمشاهدتها الفلا فاذا شاهدها قبلها الفما والفا ، وتوسل بصاحبها الى الله زلفى ، ولثم ثراها لثما ، وازاح بها عن نفسه حوبا واثما ، وجعلها فوق رأسه تاجا)(١) .

ولعل اقدم من تغنى بذكر النعل النبوية الكريمة في الاندلس الشاعر علي بن ابراهيم الانصارى (ت : ٥٧١ هـ) حيث يقول(٢) :

يالاحظا تمثالَ نعلِ نبيـه ... قبّل مثالَ النعل لا متكبـرا
والثم به فلطالما عكفت بـه ... قدمُ النبي مروحا ومبكـرا
او ماترى ان الشجيَ مقبـلٌ ... ظللاً وان لم يلق فيه مخبـرا

وقد كانت هذه الابيات البداية التي عجلت على انتشار هذا العنصر في قصيدة المديح النبوى بحيث فتحت المجال امام الشعراء الاندلسيين مقلدين ، وقد تلت هذه المقطوعة مقطوعة اخرى للشاعرة ام السعد بنت عصام الحميرى المعروفة بسعدونة (ت : ٦٤٠ هـ) تستلهم فيها معاني هذه المقطوعة بقولها(٣) :

---

(١) ازهار الرياض ٣/٢٦١ .
(٢) الذيل والتكملة ٥/١٨٩ .
(٣) ديوان اشعار النساء : ١٣٢ .

وامسح النعل به علّـــــهُ ... يَسْكُن ما جاس به من غليـــلْ
فطالما استشفى باطلال مَنْ ... يهواه اهلَ الحبِ في كل جيلْ

ومنه قول سعيد بن حكم عاس في اواخر العصر الموحدى (١) :

براسي مثالٌ لنعلِ القـــــدمْ ... الا بَلْ مثالُ لنعلِ الكـــرمْ
مثالٌ لنعلِ نبي الهـــدى ... حَذَتْه ثقاتٌ فما تُتَهـــمْ
• وجاءوا به مُعْلَنا مُعْلَمـــــا ... بأفضلَ ماهيئة للقـــــدمْ

وما ان انتهى العصر الموحدى حتى اخذ الشعراء ينظمون المطولات في هذه النعل كما في مطولة محمد بن فرج السبتي ، ومطولة ابي اليمن بن عساكر (٢) .

وقد حظيت دار الحديث الاشرفية بمدح الشعراء وذلك لانها ضمت تمثال ذلـــك النعل النبوى الشريف فهذا ابن جابر الـواى اشبي يقول في ذلك (٣) :

دار الحديث الاشرفية للشفـــا ... فيها رأت عيناى نعل المصطفى
ولثمته حتى قنعت وقلت يـــــا ... نفسي انعمي اكلك؟ قالت لي كها
لله اوقات وصلت بها المنـــى ... من بعد طيبة ما اقل واشرفـــا
لك يادمشق على البلاد فضيلـة ... ايامك الاعياد لازمها الصفـــا

ولطالما تبارك الشاعر الاندلسي بلثم تلك النعل وتحدث عنها حديث المحب الصادق والمتيم العاشق (٤) .

وقد طالب ابو اليمن بن عساكر كان حيا (٦٨٤ هـ) بترك الوقوف على الاطـــلال ولثمها الى لثم ذلك الاثر الكريم بقوله (٥) :

---

(١) اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى لابن سعيد بن حسن بن علي بن موســـى المتوفي سنة (٦٨٥ هـ) اختصره ابو عبد الله بن خليل ، تحقيق ابراهيم الابيارى ، دار الكتاب ، اللبناني ، بيروت ، ط ٢ (١٤٠٠ هـ) / ٣٢٠

(٢) انظر ازهار الرياض ٣/٢٢٦ ومابعدها (٥٥ صفحة) كلها في النعل النبوية .

(٣) المصدر نفسه ٣/٢٦٢ .

(٤) ديوان ابن الابار : ٤٥٦ .

(٥) ازهار الرياض ٣/٢٦٢ .

يا منشدا في رسم رَبع خالـــي ... ومناشدا لدوارس الاطـــلال
دع ندب اثار وذكر مآثـــر ... لأحبة بانوا وعصر خـــال
والثم ثرى الاثر الكريم فحبـــذا ... إن فزتَ منه بلثم ذا التمثـــال
اثر له بقلوبنا اثر لمـــا ... شغل الحلي بحب ذاك الخال

ولم يكن قصدهم من حب ذلك الاثر وهذا الشوق الا صاحب القدم التي سارت بهذه النعل وهو الرسول محمد صلى الله عليه وسلم فكان يبعث في قلوبهم من الذكرى ماتهـــز عاطفتهم يقول ابو فرج السبتي (١) :

لثمت وما ابغيه باللثـــم لا ولا
سواه فما قصدي النعال بل الرجـــل

---

(١) ازهار الرياض ٣/ ٣٧٣ .

الفصل الثالث

انماط قصيدة المديح النبوي

اتخذت قصيدة المديح النبوي اشكالا مختلفة من حيث بناؤها فلقد اتخذ المديح النبوي الشكل التقليدي المألوف للقصيدة العربية حتى شكل النسبة المظلي من بين الانماط الاخرى كالموشحات والمخمسات والمسدسات ، كما نظم على وفق الاساليب الشعرية التي اشتهرت انذاك كالمعشرات واللزوميات وما الى ذلك من هذه الفنون التي تدلل على قدرة الشاعر الاندلسي وبراعته على اقتحام الانماط الشعرية المختلفة والفنون المتنوعة وهو ينظم في واحد من اكثر الاغراض تعلقا بالعاطفة الدينية والتي تتطلب قدرا كبيرا من الوقار والرزانة في اختيار الفاظه وصوره واساليبه ، ولكنه نجح نجاحا كبيرا في توظيف هذه الانماط وتلك الفنون وتمكن من اخضاعها لجلال هذا الموضوع فجاء عمله رصينا جميلا رائعا ، وسنتحدث عن هذه الانماط التي سلكها الشاعر في بناء قصيدة المديح النبوي .

النمط التقليدي :

لقد شكلت القصيدة التقليدية النمط المهم من انماط قصيدة المديح النبوي ، ولقد فرض هذا النمط على المديح النبوي سمات معينة من حيث طول القصيدة والفاظها واسلوبها وتركيبها ، ولعل هذا النمط كان اكثر الانماط تناسبا ومعاني المديح النبوي الشسعة والكثيرة فهو يتألف في بنائه عادة من مقدمة وتمهيد ثم يلج الى موضوعه الرئيسي وهو مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) ثم خاتمة القصيدة ، فهو في ذلك كله لا يكاد يخرج عن حدود الاطر التي نص عليها بناء القصيدة العربية في هذا المجال .

اما المقدمة فلا تكاد تخرج عن الصورة التقليدية لشكل المقدمة في القصيدة العربية فهي في الغالب طللية او غزلية .

ومن تلك المقدمات الطللية قول ابي اسحاق ابراهيم بن محمد الانصاري (ت ٧٠٠هـ) (١) :

دع العين تذرى الدمع في طلل الربع ... فليس حراما ان اريق بها دمعي

وحدث عن القوم الذين عهدتهم ... احلوا بنجد ام اقاموا على سلع (٢)

---

(١) انظر ترجمته في الاحاطة ١ / ٣٣٧ .

(٢) الكتيبة الكامنة : ٢٣٧ .

حيث استطاع الشاعر الاندلسي ان يعيد بنا الى تلك الصورة التقليدية التي رافقت الوقوف على الاطلال وهي ندب الديار وبكاؤها ولنا في مقدمة ابن شبرين (ت : ٧٤٧ هـ) مثال اخر (١) :

يا جهذا منزلا بالغور تندبه ... وجهذا منه مسطافٌ ومرتبعُ
وجهذا ذلك الوادي المقدس اذ ... سالت جوانبه فالرى والشبع

ويمعن الشاعر في اتخاذ هذا النهج التقليدي فيعمد الى استخدام صيغة مسألة الطلل على وفق طريقة الشعراء العرب قبل الاسلام (٢) . اذ يقف الشاعر متسائلا عما حل في تلك الديار واين رحل سكانها غير ان سؤاله هذا لم يكن عن احد من سائر البشر العاديين وانما هو يسأل عن كل مايتعلق بالرمز الذي توحيه نجد وطيبة وقاطنوها فهذا ابن الاحمر يسأل الديار يقول (٣) :

اقمت يتسأل الديار متيما ... لأنّ بين ذي بَيْنٍ أَبِنْتُ ديارُها
واعرت في عجم الطلول عن الهوى ... يا نفس قد اثير اوارُها
فعَيِّتْ جوابا والجوى بي مفيد ... عليها واشجاني اقرّ قرارها

وتجيء معاني الغزل النسيب لتمعن في تأكيد الناحية التقليدية في هذه المقدمات، وقد تميز الغزل بعفة ونزاهة عالية ويبدو انه الاسلوب الامثل في مثل هذه المقدمات .

يقول ابن حجة الحموي ان الغزل الذي يتصدر به المديح النبوي يتعين على الناظم ان يحتشم فيه ويتأدب ويتغازل ويتشبب مطربا بذكر سلع ورامة وسفح والعقيق والعذيب

---

(١) الكتيبة الكامنة : ١٦٦ .
(٢) انظر ديوان عنترة بن شداد ، تحقيق وتقديم فوزي عطيوي ، ط ١ ، بيروت ١٩٦٨ م ، ص ٣٠ . كما ينظر ديوان النابغة الذبياني تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط ٢ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٥ / ٢٥ .
(٣) نثير فرائد الجمان : ٣٧٩ . كما ينظر الاحاطة ٣/ ١٤ .

والغوير ولعلع ، واكناف حاجر ويطرح ذكر محاسن الصد والتغزل في ثقل الرداف ودقة الخصر وبياض الساق وحمرة الخد وخضرة العذار وما اشبه ذلك) (١) .

ويؤكد الدكتور زكي مبارك هذا الامر عند حديثه عن معاني الغزل في المديح النبوي حيث يقول (ويتعين على الناظم الذي يصدر في مديحه بالغزل ان يحتشم فيه ويتأدب لانه وقع موقع التمهيد لقصيدة دينية) (٢) .

ويرى ابن الخطيب ان هذا الولع بالتمسك في الغزل بقصائد المديح النبوي هو لشحذ العواطف واستجلاب الاسماع فيقول في تقديمه لقصيدة من نظم يوسف بن موسى المتنشاقري (في شعره يمدح الجهة النبوية مصدرا بالنسيب لبسط الخواطر النفسانية) (٣) . ونجد هذا الالتزام بالحشمة في اغلب معاني الغزل الموجودة في مقدمات الشعراء فهذا ابن الاحمر يقول : (٤)

ترأى بجنب الحلتين نجيبها ... فوجدت بتسيار الغرام مجيبها

ومدت بليلى منه انهق سهده ... وشمس العشايا قد أبين مغيبها

ونجده في القصيدة نفسها :

اذا لاح من ليلى تبرق وجهها ... فذاك الحسن مابه مايعيبها

فلو لم تكن تخفي الجمال لادهشت ... برايا الدنا حسنا وشقا جيوبها

ولا يشذ عن هذه المقدمات سوى مقدمة غزلية حسية لابن حيان النفزي ذكر فيها اوصاف المحبوبة الحسية ومع ذلك فهو لم يهبط فيها الى درك الصراحة والابتذال اذ يقول (٥) :

---

(١) خزانة الادب لابن حجة الحموي ، القاهرة ، مطبعة بولاق ، ١٤/ ١٤ ـ ١٥ .
(٢) المدائح النبوية : ٥٩ .
(٣) الاحاطة ٣٨١/٤ .
(٤) تيسير فرائد الجمان : ٣٨٤ . كما ينظر ديوان الصيب : ٣٨٩ . وديوان ابن خاتمة : ١٨ . نفح الطيب ٣٠٧/٧ .
(٥) ديوان ابن حيان : ٤٦٢ .

فالخد مرمرة والنشر عنبرة والثغر جوهرة والريق معسول
والطرف ذو غنج والعرف ذو أرج والخصر مختطف والمتن مجدول

ولعل اهم مايلاحظ على تلك المقدمات هو تغيير مسميات الاماكن التي كان الشعراء يحرصون على ذكرها مثل (دخول ، حومل ، حاقل ، عاقل ، عرفان ... الخ) اذ بدا الشعراء يذكرون اسماء (نجد ، الحجاز ، سلع ، يثرب ، الحمى ، الغور ... الخ) فهذا ابن الخطيب يستهل احدى مقدماته متغزلا بتلك الاسماء والاراضي المقدسة بقوله(١) :

ان فاتني ظل الحمى ونسيمه فحسب فؤادي ان يهب نسيمه
ويقنعني اني به متكيف فزمزم دمعي وجسمي حطيمه

اما الرحلة فقد شكلت المقطع الثاني من مقاطع قصيدة المديح النبوي التقليدية وقد وصف الشاعر الاندلسي هذه الرحلة وصفا يسيرا غير معقد كالذي كان معهودا في القصيدة الجاهلية حين كان الشاعر مهتما بالحديث عن ناقته حديثا مفصلا ودقيقا واصفا اياها من الرأس الى الذنب(٢) .

اما في قصيدة المديح النبوي الاندلسية فقد كان هذا المقطع يمر بصورة موجزة يبين من خلاله الشاعر الصاعب التي تواجه هذا الركب الميمون وهم يقطعون فيافي الصحراء قاصدين تلك الاراضي المقدسة فهذا ابو القاسم محمد بن يحيى (ت : ٦٨٦ هـ) يقول واصفا رحلة هذا الركب بعد مقدمة طللية (٣) :

في ذمة الله ركب للعلا ركبوا ظهر السرى فأجابتهم نجائبه
يرمون عرض الفلا بالسير في عرض طي السجل اذا ماجد كاتبه
كأنهم في سواد الليل سرّ هوى لولا الغرام لاخفتهم جوانبه
شدوا على لهب الرمضاء وطأتهم فغاص في لجة الظلماء راسبه
وكلفوا الليل في طول السرى شططا فخلفوه وقد شابت ذوائبه

---

(١) الاحاطة : ٤/٥٢٧ . وينظر المصدر نفسه ٣/١٤ . ونفح الطيب ٧/١٢٩٠ وينظر نفاضة الجراب ص ١٢٣ .
(٢) ينظر ديوان طرفة بن العبد ، تحقيق لطفي الصقال مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق (١٩٧٥) ص ٦٣ .
(٣) الكتيبة الكامنة : ١٥٣ . ينظر الاحاطة ٣/٥٠٩ . ينظر ديوان ابن حيان : ٤٦٣ .

وربما عرج الشاعر على ذكر الناقة ذكرا عرضيا ، كقول ابن الخطيب(١) :

ركائب تستف الفلا فكأنها ... سفائن في بحر السراب سوابح
اليك رسولَ الله شدّت نسوعها ... وغادرها الادلاج وهي طلائح

وهكذا مر الشاعر الاندلسي في قصيدته التقليدية على هذا المقطع فلم يسهب فيه ولم يعمد الى التعقيد والاطالة .

ثم ينتقل الشاعر الاندلسي بعد ذلك الى الغرض الاساسي وهو مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم والتغني بذكره وسجاياه التي فاقت العد والاحصاء فهذا ابن زمرك يسرع في احدى قصائده التقليدية في الولوج الى هذا الغرض الاساسي بعد المقدمة بقوله(٢) :

واحطّ من ثوى الرسول ركائبي ... وابيت للحرم الشريف نزيلا
بمنازل الوحي التي قد شرفت ... قد شافهت اعلامها التنزيلا

معلنا بذلك عن دخوله الى الغرض الاساسي وهو مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم والتغني بسجاياه وذكر الاماكن المقدسة التي حل بها متحدثا عن سيرته وصفاته منتهيا بطلب الشفاعة . اما المولديات فقد كانت تختتم عادة بمدح السلطان الحاكم ، حيث يجمع الشاعر فيها بين ممدوحين يحتلان في نفسه مكانة خاصة اولهما بحكم الوشيجة الدينية والثاني بحكم الواقع ومايفرضه على الشاعر المادح من ضرورات حيث يشيد الشاعر من خلالها بالجهود الطيبة التي يبذلها السلطان في احياء ليلة المولد . كما في قول عبد الحق بن يحيى المطاري(٣) :

فلله منها ليلة قد تلألات ... بنور شهاب نيّر الافق ثاقب
لينلْ اميرُ المسلمين بها المنى ... وان نال من مولاه حسن الرغائب
على حين احياها بذكر حبيبه ... وذكرِ الكرام الطاهرين الاطايب

---

(١) ديوان الصيب : ٣٦٧ . ينظر حياة واثار ابن زمرك : ٣٧٣ . ينظر ديوان ابن حيان ٤٦٢ . والذيل والتكملة ٥/٢٩٤ .

(٢) حياة واثار ابن زمرك : ٣٧٣ . وينظر نثير فرائد الجمان : ٣٨٣ . كما ينظر الاحاطة ٣/٥٦٥ . وديوان الصيب : ٤٨٨ .

(٣) الاحاطة ٣/٥٦٣ كما ينظر ديوان الصيب : ٣٧ ، ٣٩٢ ، ٤٨٤ .

ومن هنا تعد الموالديه نمطا متطورا لقصيدة المدح التقليدية لانها جمعت في مضمونها بين مدحين (١) .

الا ان هذا النمط التقليدي في البناء لم يطرد في عموم الشعر العربي ، حيث نجد احيانا خروجا عليه وقد اشار النقاد القدماء الى ذلك فابن رشيق يقول (من الشعراء من لايجعل لكلامه بسطا من التسبيب بل يهجم على مايريده مكافحة ويتناوله مصافحة) (٢) .

ونجد هذا كثيرا في قصيدة المديح النبوي التقليدية حيث نرى الشاعر الاندلسي يبدأ قصيدته المدحية بالدخول مباشرة الى مدح المصطفى (صلى الله عليه وسلم) يقول ابن الخلوف (٣) :

يا ارحم الراحمين جُدْ واغفر لنا كرما	فانت انت امانُ الخائفِ الوجل
واغفر بطه ذنوبا ليس يغفرها	إلاّك ياغافرَ الاوزار والخطل
وصلِّ ربي على المختار من مضر	خيرِ النبيين والافلاكِ والرسل
روحُ العوالم سرُّ الكونِ اجمعِه	كبيرُ كنزِ المعالي علةُ العلل

الوشحات :

شكّل الوشح النمط الثاني من انماط شعر المديح النبوي في الاندلس . والوشح هو نوع من النظم يتألف من فقرات تسمى اغصانا وهي عبارة عن اشطار ابيات شعرية بعدد معين وقافية واحدة ويعقب كل فقرة قفل مكون من اشطار هي من نفس البحر ولكن بقافية مختلفة تلزم في كل الاقفال .

---

(١) انظر دراسة في مولديات ابن الخطيب عبد الملك الشافي ، مجلة كلية الاداب ، تطوان عدد ٢ / ٢٥٧ .

(٢) العمدة ١ / ٢٣١ .

(٣) ديوان ابن الخلوف : ١٣٩ . وينظر ديوان ابن الجنان : ٧١ ، ٧٤ ، ٨٠ ـ ١٤٨ .

اما الاغصان فقوافيها قد تختلف ولكنها لاتكون الا من نفس البحر (١) . وقد سن الشاعر الاندلسي في النظم على هذا النمط بانواعه فنرى ابن الصباع الجذامي يفتتح احدى موشحاته بمقدمة طللية متغنيا بذكر الحجاز وطيبة معبرا منذ الوهلة الاولى عن حبه لتلك الديار وحب من حل فيها فيقول (٢) :

يارض طيبة معهد ... شوق اليه مجدد

هل لي بتلك الطلول
من زورة ومقيل
ياقبر خير رسول
متى يراك فيسعد ... صب بعدك مكمد

كما اننا نراه يفتتح احدى موشحاته بمطلع طللي ايضا واقفا على تلك الديار طالبا من رفاقه ان يحيوا معه تلك الديار تكرما ووفاء لمن حل فيها (٣) .

كما تضمنت مقدمات الوشاحين معاني التحسر على الشباب الذي قد مضى والمبادرة الى طاعة الله والندم على مافات من العمر بمعصية الله يقول ابن زمرك في مطلع موشحة له (٤) :

لو ترجع الايام بعد الذهاب ... ام تفتح الايام ذكرى حبيب

وقد تأتي الموشحات خالية من المقدمات بل تنصب منذ البداية في مدح سجايا المصطفى كما نجد ذلك عند ابن الصباع الجذامي بقوله (٥) في موشح اقرع (٦) :

---

(١) فصول في الادب الاندلسي في القرنين الثاني والثالث للهجرة ، د . حكمت علي الاوسي مطبعة بابل ، بغداد ، ط ٥ (١٩٨٧) / ١٦٠ . كما ينظر تبسيط العروض نور الدين عسود الدار العربية للكتاب لسنة (١٩٨٦) ط ٢ / ٣٠١ . وينظر عروض الموشحات الاندلسية ، دراسة وتطبيق هداد رحيم ، وزارة الثقافة والاعلام ، دار الشؤون العامة بغداد سنة (١٩٩٥) ط ١ / ١٢ .

(٢) ازهار الرياض ٢ / ٢٣٥ . وينظر ديوان الشنتريني : ٤١٤ .

(٣) ينظر ازهار الرياض ٢ / ٢٣٣ .

(٤) حياة واثار ابن زمرك : ٤٨٣ .

(٥) ازهار الرياض ٢ / ٢٨٠ .

(٦) الموشح الاقرع هو الذي لامطلع له ، ينظر فصول في الادب الاندلسي : ١٦١ .

لاحمد المصطفى مقام
جل علا فلا يسام
بنوره يهتدى الانام
فاى شمسٍ واى بدر قد اطلعته لنا السعود

وقد جاء وصف الرحلة في الموشح وصفا بسيطا نادرا وذلك لقصر نفس الموشحات حيث لايتجاوز طول الموشحة في الاغلب الاثنى عشر بيتا مما حدى بالوشاح الى ان يكرس جهده في ذكر سجايا المصطفى والتغزل بأرض الحجاز ومن بين من تطرق لهذه الرحلة التلابيسي الذى كان حيا (٧٦٧هـ)(١) :

وسارت الاظعان يحدى بها السحر
فاستبشر الركبان بقرب نيل الوطر

ولم يغفل الوشاح الاندلسي عن هدفه الاساس من هذه الرحلة ومن هذه الزيارة ومن هذا الحب وهو ان يحظي بشفاعته عليه افضل الصلاة والسلام . يقول ابن زمرك(٢) :

عسى شفيع الناس يوم الحساب وملجأ الخلق لدفع الكروب
يلحقني منه قبول مجاب يشفع لي في موبقات الذنوب

اما الخرجة التي تمثل الجزء الاخير في الموشح والتي جعل ابن سناء الملك من شروطها ان تكون عامية او اعجمية جاعلا اختيارها من السنة الصبيان والسكارى (٣) . فقد اتخذت اشكالا عديدة في موشحات المديح النبوى فمنها ماهو عامي ولكنه بعيد عن الاوصاف المعهودة في الخرجات العامية وذلك لنبالة واصالة الغرض الذى ينظم فيه وهو مدح سيد الكائنات . ومثال ذلك الخرجة التي انتهت بها احدى موشحات ابن الصباغ الجذامي والتي مطلعها (٤) :

---

(١) ديوان الموشحات الاندلسية : ٤٧٩ . وينظر ملامح الشعر الاندلسي : ٣٧٨ .
(٢) حياة واثار ابن زمرك : ٤٨٣ .
(٣) انظر دار الطراز في عمل الموشحات لابي القاسم عبد الله بن جعفر بن سناء الملك ، (ت : ٦٠٨ هـ) . جودت الركابي ، مطبعة دار الفكر ، دمشق ، ١٩٧٧ ، ط ٢ ، / ٦٨ .
(٤) ازهار الرياض ٢ / ٢٣٠ .

ألِفَ الضنى الشجونـــــا وارتضى الاحزان دينـــــا
فوق صفح الوجنتيـــــن اهمل الدمع الهتونـــــا

بخرجه عامية (١) وهي :

وبلينا وابتلينـــــا وانس يقول النـاس فينـــــا
قم بنـا يانـورَ عينـــي نجعل الشـكَ يقينـــــا

وقد تأتي الخرجة فصيحة معربة تحمل في طياتها صورا ذات ايحاءات اسلامية وقد اختصت هذه الخرجة بموشحة المديح النبوي فهذا ابن زمرك يختتم احدى موشحاته يقول (٢) :

ناديتُ لم يسمح لي بالجـواب نهر ربيع يا ربيعَ القلـــوب
أطلعْتَ للهدى بغير احتجاب شمسا ولكن مالها من غـــروب

كما اتخذت صيغة اخرى فقد تتضمن اسم الممدوح وهو الرسول المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم كما في قول محمد بن عبد الله الانصاري في احدى خرجات موشحاته (٣) :

احمدُ المختارَ طه من سمـــا الشريف ابن الشريف الكيـــس
خاتمُ الرسل الكريمُ المنتقـــى طاهر الاصل زكي النفـــــس

وهكذا ضمن الوشاحون الاندلسيون الخرجة معاني اسلامية تختلف كل الاختـــلاف عن معاني الخرجات في الموشحات الاخرى وهي وان كانت قد تناسبت معها في الخطـــوط العريضة من حيث البناء والشكل ولكنها اختلفت من حيـث الروح والجوهر واللفظ والمعنى .

---

(١) ازهار الرياض ٢ / ٢٣١ .
(٢) حياة واثار ابن زمرك : ٤٨٣ .
(٣) ديوان الموشحات الاندلسية : ٤٠٥ .

انماط اخـــرى :

ومن الانماط الاخرى التي نظم عليها الشاعر الاندلسي امادیح النبوية (المخمسات) والتخميس هو ان يعمد شاعر الى قصيدة شاعر اخر او قصيدة له هو نفسه فيضيف الى كل بيـــت فيها ثلاثة اشطر على روى قافيته بحيث يصبح كل بيت مكونا من خمسة اشطر ، وفي الغالـــب يوكد المخمس نفس معنى الشاعر الاول وقد يقلب المعنى الاصلي الى ضده بما يضفيه مـــن اشطـــر (١) .

لقد لقي هذا النمط مجالا رحبا في باب المديح النبوى حيث اخذ الشعراء يخمسون قصائدهم وقصائد غيرهم مضفين عليها معاني جديدة مكملين وموضحين تلك المعاني التي طرقها الشعراء الذين سبقوهم في الانشاد فهذا ابن خاتمة الانصارى (ت : ٧٧٠ هـ) يخمـــس قصيدة للشيخ الصوفي شهاب الدين عبد الله الخيمي (٢) (ت : ٦٨٥ هـ) والتي مطلعها (٣):

يا مطلبا ليس لي في غيـــره ارب ... اليك آل التقصي وانتهى الطلـــب

فاخذها ابن خاتمة الانصارى وخمسها بقوله (٤) :

منك التجلي ومنا الســـر والحجـــب ... وكل نعمى فمن عليا لك ترتقـــب

وانت انت الذى ابغي واطلبـــه ... يا مطلبا ليس لي من غيـــره ارب

اليك آل التقصـــي وانتهى الطلب

---

(١) ينظر تبسيط العروض : ٢٨١ ، كما ينظر ميزان الذهب في صناعة شعر العرب ، احمد الهاشمي ، مكتبة النقاء ، العراق ، بغداد ، (١٩٧٩) : ١٤٢ .

(٢) شهاب الدين محمد عبد المنعم الخيمي الانصارى الحسرى ، توفي بالقاهرة سنة ٦٨٥هـ انظر فوات الوفيات ٢/ ٤٥٨ ـ ٤٦٩ .

(٣) ينظر القصيدة في فوات الوفيات ٢/ ٤٥٩ ـ ٤٦١ .

(٤) ديوان ابن خاتمة الانصارى احمد بن علي بن خاتمة (ت : ٧٧٠هـ) حققه وقدم له الدكتور محمد رضوان الداية ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، احياء التراث العربي ٣١ .

واستمر ابن خاتمة مخمسا هذه القصيدة بحوالي ثلاثين بيتا وشاع هذا النمط شيوعا كبيرا حتى اصبح الشاعر لاينظم على هذا النمط الا في المديح النبوى فابن الجنان يخمس قصيدة مجهولة القائل كما اقر بذلك محقق ديوانه بقوله (١) :

اللـه زاد محمدا تكريما
وحباه فضلا من لدنه عظيما
واختصه في المرسلين كريما
ذا رأفة بالمؤمنين رحيما صلوا عليه وسلموا تسليما

حيث الزم نفسه اسلوب التكرار وخاصة في الشطر الاخير الذى لازم القصيدة من اولها الى اخرها وهو قوله (صلوا عليه وسلموا تسليما) .

ومن الذين اسهموا في هذا النمط في المديح النبوى ابو العلا بن موسى القرطبي (ت : في اواخر سنة ٦٤٧ هـ) في تخميسه لقصيدة له بقوله (٢) :

اهلا بكم يااهلَ هذا النادى اهلَ اعتقادِ الوعدِ والميعاد
اهدوا الصلاةَ على النبي الهادى وَصِلُوا السلام له مع الابـاد
يندى نسيما مذكرا تنسيما

ولقد تأثر ابن سهل الاسرائيلي بمخمسة ابن الجنان التي مر ذكرها فكتب على منوالها مخمسة من ثمانية وثلاثين بيتا اختتمها كلها بالشطر نفسه (صلوا عليه وسلموا تسليما) يقول فيها (٣) :

جعل المهيمن حب احمد شيمة
واتى به في المرسلين كريمة
فغدا هواه على القلوب تميمة
وغدا هداه لهديهم تتميما صلوا عليه وسلموا تسليما

---

(١) ديوان ابن الجنان : ١٤٥ .
(٢) نفح الطيب ٧/٤٤١ .
(٣) المصدر نفسه ٧/٤٤٥ .

وهذا مالك بن المرحل ينحو المنحى نفسه ولكن بطريقة اشد تعقيدا حيث تراه يتبع اسلوب لزوم مالايلزم خاتما مخمسته بالشطر نفسه (صلوا عليه وسلموا تسليما) فيقول (١) :

ألف : اجل الانبياء نبيٌ
بضيائه شمس النهار تضيٌ
وبه يؤمل محسن ومسيٌ
فضلا من الله العظيم عظيما صلوا عليه وسلموا تسليما

ثم ينتقل الى حرف الباء :

باء : بدا في افق مكة كوكبا
ثم اعتلى فجلا سناه الغيهبا
حتى انارَ الدهر منه واخصبا
اذ كان فيضُ الخيرِ منه عميما صلوا عليه وسلموا تسليما

ويستمر على هذا المنوال حتى ينتهي بحرف الياء .

ومثل ذلك مخمسة الفقيه الكاتب ابي العباس احمد بن محمد بن العباس المغربي والتي يقول فيها :(٢)

الله زاد المصطفى تعظيما
وقضى له التفضيلَ والتعظيما
واناله شرفا لديه جسيما
فهو المتمم فخره تتميما صلوا عليه وسلموا تسليما

ثم ينتقل الى الهمزة بقوله :

صلوا على من خص بالانباء
وابوه مابين الثرى والماء
ثم استمر النور في الآباء
فتوارثوه كريمةً وكريما صلوا عليه وسلموا تسليما

---

(١) نفح الطيب ٧/٤٥٣ .
(٢) المصدر نفسه ٧/٤٥٩ .

وبعد ذلك ينتقل الى الباء :

صلوا على بدر بدا من يثـــرب
فاضاء بالانوار اقصى المغـــرب
وجلا عن الدنيا دياجي الغيهـب
فهدا لنا نهج الرشاد قويمـــا صلوا عليه وسلموا تسليمـــا

وقد ينظم الشعراء على وفق المسدسات وهي على نمط المخمسات ولكن الشاعر يتجاوز فيها نظام الاشطر الثلاثة ويصل بها الى اربعة اشطر تسمى عندئذ تسديسا (١) . ولقد نظم الشعراء الاندلسيون على هذا النمط الكثير من القصائد المدحية فهذا علاء الدين محمد بن عفيف الايجي ينظم على هذا النمط متبعا ايضا اسلوب مالايلزم مرتبا ذلك على حروف المعجم بقوله (٢) :

اللهم احمد احمدا اذ يمـــرأ اوضى وضيء نوره يتـــلالا
انواره كلّ العوالم تمـــلاء اكوانه لولاه لم تكُ تنشـــاء
ان كنتم انقدتم له تسليمـــا صلوا عليه وسلموا تسليمـــا

ثم ينتقل الى البيت الثاني مسلتزما الاسلوب نفسه حتى نهاية القصيدة التي تستغرق كل حروف المعجم .

وله قصيدة اخرى على هذا النمط وعلى هذا الاسلوب مطلعها (٣) :

احسن بطلعـة احمد هي اضـوأ اعلن بلمعتـه العوالم تملأ
ازين به لما اتى يتـــلالاء ابين بآيـات له هي تنشـأ
الله قدمه بها تقديمـــا صلوا عليه وسلموا تسليمـــا

---

(١) المعجم الادبي القسم الاول : ٦١ .
(٢) نفح الطيب ٧/ ٤٧٠ .
(٣) المصدر نفسه ٧/ ٤٧٥ . كما ينظر نفح الطيب ٧/ ٤٧٠ ـ ٤٨٨ ، ٧/ ٥١٢ .

وقد يأتي نمط القصيدة النبوية ايضا على هيأة (المعارضات) وهو نمط شائع في الشعر العربي و(المعارضة) هي ان يكتب الشاعر قصيدة على وزن وقافيه وفي نفس موضوع قصيدة اخرى (١) فقصيدة البردة لكعب بن زهير والتي مطلعها (٢) :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم اثرها لم يُفد مكبول

عارضها الكثير من الشعراء ولم تزل تعارض الى يومنا هذا وقد شغلت العديد من شعراء المديح النبوي وعلى مختلف العصور .

وقد عارضها الشعراء الاندلسيون اسوة بغيرهم من الشعراء فهذا ابن حيان النفزي يعارضها بقصيدة طويلة مطلعها (٣) :

لاتعذلاه فما ذو الحب معذول العقل مختبل والقلب مشغول

هزت له اسمرا من خوط قامتها فما انثنى الصب الا وهو مقتول

ويستمر على هذه الشاكلة في معارضته لتلك القصيدة مستخدما لغة قديمة تصل الى مستوى تلك اللغة التي استخدمها كعب بن زهير واسلوبا مشابها لاسلوبه .

ونقرأ لابن جابر الهواري قصيدة مطرزة باسماء السور القرآنية كانت محط انظار الشعراء بما تحمله من جدة بحيث شجعت الشعراء على معارضتها ومطلعها (٤) :

في كل فاتحة للقول معتبره حق الثناء على المبعوث بالبقره

من آل عمران قد ما شاع مبعثه رجالهم والنساء استوضحوا خبره

ومن معارضاتها قول بعضهم (٥) :

---

(١) ينظر تبسيط العروض : ٢٤٨ .
(٢) ديوان كعب بن زهير ص ٦ .
(٣) ديوان ابن حيان النفزي : ٤٦٢ .
(٤) نفح الطيب ٧/٣٢٤ .
(٥) المصدر نفسه ٧/٣٢٦ .

بسم الاله افتتاح الحمد والبقـرة مسليا بصلاة لم تزل عطـــرة
على نبي له الرحمن ممتـــــدح من آل عمران ايضا والنسا ذكره

كما اهتم شعراء المديح النبوي بفن اللزوميات . ولقد شاع هذا الفن في قصيدة المديح النبوي ومال الى النظم فيه عدد كبير من الشعراء فهذا ابن الجنان يلزم نفسه بحرف الفـــاء قبل حرف السروي وهو العين بقوله(١) :

ايذهب يوما لم اكفّر ذنوبـــه بذكر شفيع في الذنوب مشفـــع
ولم اقض في حق الصلاة فريضـــة على ذي مقام في الحساب مرفـع
أرجّي لديه النفع في صدق حبه ومن يرتجي المختار لا شك ينفـع

ونرى ابن الجنان ينظم قصيدة اخرى يتبع فيها لزوم مالا يلزم حيث يلتزم حرف اليـــاء قبل حرف الميم والالف المطلقة وذلك بقوله(٢) :

صلوا على خير البرية خيمـــا واجل من حاز الفخار صميمـــا
صلوا على من شرّفت بوجـــوده ارجاء مكة زمزما وحطيمـــا

واهتموا ايضا (بالمعشرات) وهي قصائد تتألف كل واحدة منها من عشرة ابيـــات يلتزم في كل واحدة منها بحرف من حروف المعجم فتنظم على حرف الهمزة والثانية على حرف الباء والثالثة على التاء وهكذا وصولا الى الياء(٣) .

فنرى ابن جابر الهواري ينظم مقصورة يتبع فيها اسلوب المعشرات مرتبا ذلك على حروف الهجاء مطلعها(٤) :

---

(١) ديوان ابن الجنان : ١١٧ .
(٢) ديوان ابن الجنان : ١٤٨ . كما ينظر ديوان الصيب : ٣٨٩ ، نفح الطيب ٧ / ٢٩٠ . المعشرات اللزومية نظم مالا يلزم ، مجلة المورد ، المجلد التاسع العدد الرابع : ٥١٢ .
(٣) تبسيط العروض : ٢٩٩ .
(٤) نفح الطيب ٧ / ٣٠٦ .

بادِ رقلبي للهوى وما ارتـــأى　　لما رأى من حسنها ماقـــد رأى
وقرّب الوجدَ لقلبـــي جهـــا　　وكان قلبي قبل هذا قـــد نـــأى

وبعد ان يذكر عشرة ابيات تنتهي بالهمزة قبل الالف المقصورة ينتقل الى الياء منتهيا بها عشرة ابيات اخرى قبل الالف المقصورة :

يارُبَّ ليلٍ قد تعاطينـــا بـــه　　حديثَ انس مثلَ ازهار الربـــى
في روضة تعانقت اغصانُهـــا　　اذ واصلت مابينها ريح الصبـــا

ثم ينتقل الى التاء بقوله :

تاالله لا أعبأ بعيش قد مضـــى　　فلا زمان قد تعدى وعتـــا
مذ علقتْ كفي بالهادي الـــذي　　ساد الورى طفلا وكهلا وفتـــى

ويستمر على كل حرف بعشرة ابيات قبل الالف المقصورة لجميع حروف الهجاء . ونجـــد بعض الشعراء يلزم نفسه باشكال اكثر تعقيدا حيث يبدأ كل عشرة بحرفين يلتزم بهما في بداية كل بيت وفي نهايته . ومن ذلك قول مالك بن المرحل حينما الزم نفسه في احدى عشراتـــه بالهمزة والميم عند بداية الابيات و في نهايتها (١) :

اماليَ الى قبر الرسول مبلـــغ　　سلاما فقد افنى الزمانُ دمائـــي
امانةَ مشتاق حمى الدمع جفنـــه　　فما طاف طيف النوم فوق حصـــاءِ

ويستمر بعشرة ابيات ثم ينتقل الى الحرف الثاني (الباء) ويلتزم معه حرف اخر وهو الراء :

برحمة ربي ارتجي حرمة الغـــرب　　فادوا بها من سيد العجم والعرب
برتني يد الاشواق بريا ونهكـــة　　وشواه في شرق وشواني في غـــرب

ويستمر بعشرة ابيات ثم ينتقل الى حرف التاء) ويلتزم حرفا اخر حتى يكمل حروف الهجـــاء جميعها بحيث تصبح القصيدة كاملة في [illegible] بيتا .

---

(١) المعشرات اللزومية نظم مالك بن المرحل مجلة المورد ، المجلد التاسع ، العـــدد الرابع / ١٥٥ ومابعدها .

يتبين مما مضى ان قصيدة المديح النبوى اتخذت انماطا مختلفة واشكالا عديدة مما يؤكد انتشار شعر المديح النبوى بالاندلس انتشارا واسعا ونشير الى مدى الاهمية التي اولاها الشعراء لقصيدة المديح النبوى متفننين في اساليبهم معبرين عما يجول في خواطرهم باساليب واشكال تظهر مدى قوتهم وقابلياتهم الفنية .

الفصل الرابع
الخصائص الفنية

اللغـــة والاسلـــوب

الظاهرة الشعرية لغوية في جوهرها ، ولعل الشعر هو الاستعمال الارفع للغة (١) .

كما ان الاداء الفني الجميل اساسه الدقة في اختيار الكلمة ووضعها في بيئتها وامتزاجها مـــع معناها (٢) .

ويعتمد هذا كله على قدرة الشاعر على الصياغة حتى يخلق من الكلمات العادية قطعـا سحرية ويعطيها زخما حيويا يؤهلها لتلامس مشاعره وتعانق عواطفه (٣) .

وكلما اقترب الشاعر بشعره من نفسه وبيئته كان اسلوبه سهلا ولغته مألوفة بالنسبة لابنـاء عصره وكثيرا ما نتحسس قدرة الشاعر الاندلسي على التعبير عن احداث عصره . فكانت العاطفـــه واضحة والتراكيب سهلة بل ان هذه السهولة اصبحت الطابع الغالب على لغة اغلب الشعـــراء الاندلسيين . وذلك لان الابتعاد عن الغريب والجنوح الى الرقة والسهولة ظاهرة مهمة في لغة الشعر الاندلسي (٤) .

وكانت لغة القصيدة في المديح النبوي مسايرة لطبيعة اللغة في سائر الاغـــراض الشعرية الاخرى حيث كانت تتسم بطابع السهولة وهذه السهولة في القصيدة تتفق مع السهولـــه

---

(١) خمسة مداخل الى النقد الادبي ، مقالات معاصرة في النقد ، تصنيف ويليرم ، ترجمة وتقديم د . عناد غزوان ، جعفر صادق ، وزارة الثقافة والاعلام ، دار الشـــ الثقافية العامة ، بغداد : ٣٥٥ .

(٢) ينظر النثر الفني واثر الجاحظ فيه ، د . عبد الحكيم بلبع ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط ٢ (١٩٦٩) ٢١ .

(٣) ينظر الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي ، عبدة بدوي ، وزارة الثقافة والاعـــلام الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة (١٩٧٣) : ٢٧٥ .

(٤) ينظر اتجاهات الشعر الاندلسي الى نهاية القرن الثالث الهجري : ٢٢٤ .

التي تميز بها الشعر الاندلسي ولاسيما في عصر الموحدين حيث كان يتسلسل بشفافية ورقة وعفوية ويتدفق بانسياب هادئ بلا تصنع ولاتكلف ، وقد ارجع احد الدارسين تلك السهولة في الالفاظ والسلاسة في التراكيب الى ان الشعراء لم يحملوا الالفاظ مالم تطق من المعاني المزدحمة ولم يبالغوا في الاخذ بفنون البديع من تورية وجناس وغيرها وما كان يقع له منهم في عباراتهم جميل مقبول لانهم كانوا يأخذون من الانواع البديعية وما توحي به القريحة من غير تعمد ولااجهاد خاطر(١) . وعموما فان دراستنا للغة قصيدة المديح النبوي تمكننا من تشخيص تيارين رئيسيين كانا يطبعان تلك اللغة .

اولهما : ساير فيه الشعراء اللغة القاموسية الموروثة فنرى الشاعر يستحضر الصحراء في ذهنه مستذكرا صورها في حيواناتها وجبالها ووديانها واشجارها موظفا هذه الالفاظ وهذا المعجم البدوي بقصيدته المدحية بحيث يتكئ على القديم الموروث من اللفظ . ولم يكن هذا الاتكاء على الموروث اعتباطا او تقليدا حرفيا فقد كانت طبيعة الموضوع تقتضي ذلك لان الشاعر يتحدث عما يصادفه في طريقة وهو يتجه صوب الديار المقدسة قاطعا فيافي وصحارى مجدبة وافضل من يعبر عن مظاهر هذه الصحراء هي اللغة القاموسية .

وابن الجنان يستخدم هذه اللغة في احدى قصائده المدحية قائلا(٢) :

تذاكرن ذكرى او تهيج اللواعجا فعالجن اشجانا يكاثرن عالجا(٣)

---

(١) ينظر قصة الادب في الاندلس ٨٥، القاهرة ، د . محمد عبد المنعم خفاجي ، مطبعة المعهد الجديد (١٩٥٦) .

(٢) ديوان ابن الجنان : ٧٤ ـ ٧٥ .

(٣) اللواعج : حرق الهوى ، انظر تاج العروس ١٨٨/٦ ، مادة (علج) .

ركابا سرت بين العذيب وبـــارق نوايـج في تلك الشعاب نواعجا (١)

تيممن من وادى الاراك منـــازلا فيطوين الا في الاراك سجاسجـا (٢)

فهو يستخدم هذه الالفاظ التي لها وقعها الذى يملأ السمع ويحفزه على تلقي المزيد ومما زاد في خشونة النص غرابة قسم من قوافيه التي جاءت بسبب اختيار الجيم رويا مثل (النواعج) و(السجاسج) و(العوالج) و(اللواعج) .

ويميل ابن حيان النفـزى الى استخدام هذه اللغة المعجمية المستمدة من القامـوس البدوى بقوله (٣) :

فشقّ حيزومَ هذا الليلِ متطيـــا اخا ضرامه قد يُبلغ السّـــولُ

اقبَ اعوجَ يعزى للوجيه لـــــه وجه اغرّ وفي الرجلين تحجيـــلُ (٤)

جفر حوافره ممـز قوائمـــــه ضمـر ايا طله للذيل عثكـــول (٥)

وحينما يتعمد الشاعر هذه اللغة او يتكلفها فانها تكون عندئذ ثقيلة مستكرهة كما في قول ابـــن الخطيب في احدي مولدياته (٦) :

الاليت شعرى هل اراني ناهـدا اقود القلاصَ اليدنَ والصامر النهدا

رضيح لبان الصدق فوق شَلِّـــةٍ مضمرةٍ وُسدتْ من كورها مهـــدا

---

(١) نوايـج وهي المزوعة من الرياح ، انظر التاج ٦/ ٢٥٠ . النواعج وهي الابـل السريعة ، ينظر التاج ٦/ ٢٤٣ . مادة (نوح) و(نعج) .

(٢) السجاسج وهي الارض التي تكون بين الصلبة والسهلة ، ينظر التاج ٦/ ٤٠٩ .

(٣) ديوان ابن حيان : ٤٦٣ .

(٤) اقب : الضمـــر . انظر لسان العرب ١/ ٦٥٨ .

(٥) العثكول العذق ، اى له اجزاء كثيرة ، انظر لسان العرب ١/ ٦٢٤ ، مادة (عثكل)

(٦) ديوان الصيب : ٤٧٧ . كما ينظر الصفحات : ٣٩٢ ، ٤٧٢ ، ٤٨٥ .
الشملة : الناقة السريعة . الكور الرحل ، الديوان : ٤٧٧ .

اما الثاني : فيعمد فيه الشعراء الى استخدام لغة عصرهم ، فيميلون الى الوضوح والبساطة في تراكيبهم اللغوية ، واللفظية (والشعر المحدث اقرب الى نفوس الاندلسيين من بين جميع الموروث الشعري لانه يعبر عن مرحلة حضارية يعيشونها لذا كثر النسج على منواله) (١) .

وكان لتذبذب لغة الشاعر بين هذين الاتجاهين اسباب منها ان الشاعر الاندلسي لم يخضع لمؤثر واحد بل هناك الشاعر ومستوى ابداعه ، والتأثيرات الموروثة ، والتأثيرات المحدثة واثر كل منها في لغة الشاعر التي ينظم فيها . وعندما نمعن النظر في قصيدة المديح النبوي فاننا نلاحظ رقة اسلوب الشاعر وبساطة الفاظه واضحة وجلية فنرى عبد الله بن محمد المزفي من اهل سبتة توفي (٦٧٧ هـ) يفتتح احدى مدحياته بقوله (٢) :

اذا لم اطق نحو نجد وصولا ... بعثت الفؤاد اليه رسولا

فيميل الى هذه البساطة في اللغة ، ويتجنب الالفاظ المعجمية والقاموسية وعندها يكون اسلوبه ارق ، ولغته ابسط ، وهذا محمد بن يوسف (ت : ٧٥٠ هـ) يقول (٣) :

يا من عليه اعتمادي ... في قلّ امري وكثره

سهّل عليّ ارتحالي ... الى النبي وقبره

فذاك اقصى مرادي ... من الوجود بأسره

وليس ذا بعزيز ... عليك فامنن بيسره

---

(١) ينظر تاريخ الادب الاندلسي عصر سيادة قرطبة ، د . احسان عباس ، بيروت ، دار الثقافة ، المكتبة الاندلسية ، ط ٥ (١٩٧٨) : ١٢٨ .

(٢) الاحاطة ٣/١٤ . كما ينظر المصدر نفسه ٣/٣٩٥ . وديوان ابن الجنان : ١١٦ . وديوان الصيب : ٣٢٠ .

(٣) الاحاطة ٣/١٨١ . كما ينظر ٣/٣١٤ . نفح الطيب ٧/٤٨٠ ، ٤٩٢ . وديوان ابن الجنان : ٧٤ .

ولا يخفى ما لهذا الاسلوب من رقة وبساطة وسلاسة بحيث اننا لو تتبعنا هذا النص لما وجدنا هناك لفظا يضطرنا الى الرجوع الى المعجم .

وقد يعمد الشاعر في قصيدة المديح النبوي الى الفاظ مستمدة من طبيعة الاندلس الرقيقة ، من ذلك قول ابن مرزوق ولد (٧٢١ هـ) (١) :

ايا نسيمَ السحـــــر	بالله بلّغْ خبـــرى
ان كنتَ يوما بالحمـــى	جررتَ فضلَ المئـــزر
تروى عن الضحاك في الروض	حديـــثَ المزهـــر
مخلّقُ الاذيـــــال	بالعبير او بالعنبـــر

وقد تقود هذه السهولة المفرطة في الاسلوب والالفاظ الى استخدام لغة الكـــلام اليومية المألوفة بين الناس ، ومثال ذلك نجده في قول محمد بن فرج السبتي (٢) :

يا مغرما برســـول	لم يخلق الله مثلـــه
هذا مثالُ نعـــال	شراكُها ضمّ رجلـــه
اشرفْ بها ثم اشـــرفْ	نعلا تماثلُ نعلـــه

وقوله (٣) :

خذه ايا صاحِ خـــذ	تمثالَ نعل قد حـــدى
على نعال احمـــد	منجي الانام المنقـــذ
السيدِ المختار مـــن	قبيلة وفخـــــذ

---

(١) الاحاطة ٣/١١١ . وينظر ديوان ابن الجنان : ١٤٨ ، ١٥٦ .
(٢) ازهار الرياض ٣/٢٤٦ .
(٣) المصدر نفسه ٣/٢٤٥ .

ولقد اثرى القرآن الكريم لغة الشعر بالفاظ وتراكيب وصور لاتقف عند حدود الجملة الواحدة ، بل قد يشمل ذلك القصيدة كاملة . ويطالعنا الاقتباس من القرآن الكريم في شعر المديح النبوي باشكال مختلفة فمنه مايكون باخذ لفظه او كلمة من نص الاية كما في قول ابن الجنان (١) :

سلام على التالي لصاحبه بـــه وقد قيل (لاتحزن) (٢) فصين وايدا

وقد يكون بجملة كاملة كما في قول لسان الدين بن الخطيب (٣) :

كدحت الى رب الجمال ملاقيا فيا ايها الانسان انك كادح (٤)

وفي قوله (٥) :

فضلت النبيين الكرام مزيـــة وكم بين رب اشرح (٦) وبين الم نشرح (٧)

وقد يعمد الشاعر الى الاقتباس الاشاري وهو ان يقتبس روح الاية ويصوغها بلغتـــه الشعرية ، وبذلك يضيف متانة للبيت الشعري ويخدم السياق الدلالي للمعنى الذي يطرقه ، فهذا ابن الجنان يتبع هذا النمط في الافادة من القرآن الكريم بقوله (٨) :

---

(١) ديوان ابن الجنان : ٩٠ .
(٢) سورة التوبة ، آية : ٤٠ . من قوله تعالى ((اذ يقول لصاحبه لاتحزن ان الله معنا)) .
(٣) ديوان الصيب : ٣٨٠ .
(٤) سورة الانشقاق آية (٦)
(٥) ديوان الصيب : ٣٨٠ .
(٦) سورة طه ، آية : ٢٧ .
(٧) سورة الانشراح آية : ١ من قوله تعالى ((الم نشرح لك صدرك)) .
(٨) ديوان ابن الجنان : ٩٠ .

سلام على من قد رمى الله اذ رمى فاعشى عيون المشركين وارمدا (١)

ونرى ابن الخطيب يفيد ايضا من هذا الاقتباس الاشارى للايات القرآنية في لغته الشعرية بقوله (٢) :

مثّل الله نوره في المثاني بمثال المشكاة والمصباح (٣)

وقد يعمد الشاعر الى الافادة من الفاظ القرآن الكريم بصيغة اخرى وهو ان يأخذ الفاظاً قرآنية ويفيد منها في سياقاته الشعرية ، وهذا النوع كثير وشائع جدا في شعر المديح النبوى ، وذلك لان الشاعر لايجد صعوبة في هذا النمط بل يجد مجاله رحبا في كيفية الافادة من الالفاظ القرآنية التي تحمل دلالاتها الاسلامية كما في الفاظ مثل (الرسول ، النبي ، الوحي ، الهادى ، الشفيع ، الرحمة ، الصلاة ، الزكاة ، الصيام ، الحج ... الخ) وغيرها الكثير (٤) .

وقد يعمد الشاعر الى الافادة من اسماء السور القرآنية نفسها كما في قول ابن خاتمة الانصارى (٥) :

ايات جود تجلت في الوجود (ضحى)

ظلت لها فئة التضليل في (عمى)

---

(١) اقتباس من الاية الكريمة قوله تعالى ((ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى)) سورة الانفال اية : ١٧ .

(٢) ديوان السميط : ٣٦٠ .

(٣) اقتباس من قوله تعالى ((الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح)) سورة النور : ٣٥ .

(٤) ينظر نفح الطيب ٧/ ٣١٠ ، ٣١٥ ، ٤٧٠ ، ٤٧٥ .

(٥) ديوان ابن خاتمة : ١٦ .

بل قد يعمد الشاعر الى الافادة من التورية بسور القرآن الكريم وهو يمدح النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، كما نلاحظ ذلك عند ابن جابر الهواري بقصيدته التي يذكر فيها اسماء السور القرآنية كلها والتي مطلعها (١) :

في كل فاتحة للقول معتبره ... حق الثناء على المبعوث في البقرة

في آل عمران قد ماثل مبعثه ... رجالهم والنساء استوضحوا خبره

الاسلوب :

وهو الطريقة الفنية التي يتبعها الاديب في التعبير عما يجول في اعماقه من احاسيس بحيث ينظم عباراته تنظيما خاصا كي يتمكن من نقل مافي داخله الى قرائه فيفهم ويؤثر (٢) .

ولعل صيغ الاسلوب الانشائي من نداء واستفهام وتمن وتعجب كانت من اكثر الاساليب التي اتبعها شاعر المديح النبوي ليعبر من خلالها عن مواجد واشواق طالما شغلته في حب المصطفى عليه افضل الصلاة والسلام . وكان اسلوب النداء من اظهر هذه الاساليب ، ومن ادوات النداء التي كان لها حضورها المتميز في ذهن الشاعر الاندلسي (الياء) ومن ثم (الهمزة) يقول ابن جبير : (٣)

---

(١) نفح الطيب ٣٢٤/٧ .

(٢) ينظر اتجاهات النقد خلال القرنين السادس والسابع الهجريين ، الدكتور محمد عبد المطلب مصطفى ، دار الاندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، (١٩٨٤) : ١٢٤ .

(٣) زاد المسافر : ٥٩ . كما ينظر الاحاطة ١١٤/٣ . وديوان ابن خاتمة ١٠ . والنفح ٣٢٠/٧ ـ ٤٣٠ .

يا وفودَ الله فزتم بالمنـــــى فهنيئا لكمُ أهلَ المنـــــى

ومن نماذج النداء بالهمزة قول ابن فركون [١] :

احجاجَ بيتِ الله فزتم بـــزورة حياكم بها طوعَ السعادة موســـم

وقد استعمل الشاعر الاندلسي اسلوب النداء من مخاطبة النبي محمد صلى الله عليه وسلم فهذا ابن الجنان يستخدمه في طلب الشفاعة بقوله [٢] :

فاشفع اشفع ياخاتم الرسل يـوم الـ حشر والمشهدِ العظيمِ الفظيـــع

لظلومٍ لنفسه قد تناهـــــى في الخطايا وكلِ فعلٍ شنيـــع

ونرى ابن جابر الهـوارى يكثر من استعمال هذه الاداة في مخاطبة الرسول محمـــد صلى الله عليه وسلم كما في قوله [٣] :

يا احلم الناس على من قد جنـــى واعدل الخلق اذا ما قد قضـــى

يا مصقر الالف اذا ما جـــاد او جرّد في الهيجاء سيفا او نضـا

يا ناصحا احكم تشييد الهـــدى عزما فلما ينتقض ولا انقضـــى

يا مضفيا للناس ظل رحمـــــة بات العدا منها على جمر الغضا

وقد افاد الشعراء الاندلسيون من هذه الصيغة في مخاطبة حجاج بيت الله وتكليفهم بحمل سلامهم الى النبي المصطفى يقول ابن العرا [٤] (كان حيا سنة ٦٨٥ هـ) :

---

(١) ديوان ابن فركون : ٢٤٣ ، كما ينظر نفح الطيب ٧/٤٩٣ ، حياه واثنا ابن زمرك : ٤١١

(٢) ديوان ابن الجنان : ١١٨ ، ينظر ديوان الصيب : ٤٨٦ .

(٣) نفح الطيب ٧/٣١٥ .

(٤) وهو عتيق بن احمد بن يحيى الغساني ، انظر الاحاطة ٤/٨١ ـ ٨٢ .

يا راكبا يبغي الجنـاب الاشرفـا ومُناه ان يلقي الكريمَ المسعفـا
عرّجْ بطيبةَ مرةً لترى بهـا علمي قبول رحمةً وتعطّفـا

ومن الاساليب التي استخدمها الشاعر الاندلسي الاستفهام بنوعية الحقيقي والمجازي والحقيقي هو الذي لا يعرف جوابه السائل ويرغب في الحصول على معرفته . اما المجازي : فهو الذي يعرف جوابه السائل ولكنه يسأل لاغراض قد يخرج منها الى معان اخرى(١) .

ومن امثلة الاستفهام الحقيقي قول ابن جبير(٢) :

انتم الاحباب نشكو بُعْدَكُم هل شكوتم بُعْدَنا من بُعْدِنا ؟

وغالبا مايخرج الاستفهام عن معناه الحقيقي الى معان اخرى ، فقد يأتي الاستفهام بـ (كم) للدلالة على تكثير الشيء المستفهم عنه ، لاسيما وهو يتناسب وشخص الرسول الكريم . ونلاحظ ذلك في قول ابن جابر الهواري(٣) :

فكم حوى بهديه وكم وقى ؟ وكم افاد املا وكم نخا ؟(٤)

كما قد يخرج الاستفهام الى معنى التعجب كما في قول ابن عربي(٥) :

الم تر ان الله اكرم احمدا وناداى به حتى اذا بلغ المدى

وقول لسان الدين بن الخطيب(٦) :

الم تر اني كلما هبت الصبا ابل بها من نار لوعتي الخدا ؟

---

(١) ينظر معجم المصطلحات البلاغية ، احمد مطلوب ١/ ١٨٣ ومابعدها .
(٢) زاد المسافر : ١٥٩ . وينظر نفح الطيب ٢/ ٦٠٩ .
(٣) نفح الطيب ٧/ ٣١٠ . وينظر ديوان ابن الربيع : ١٥٦ .
(٤) نخا : زهى .
(٥) ديوان ابن عربي : ١٢٧ .
(٦) ديوان الصيب : ٤٨٠ .

وقد يخرج الاستفهام الى معنى النفي كما في قول ابن الخلوف(١) :

وجئت مستنصرا بالمصطفى كرما ... فكيف أُخذَلُ وهو العين والعضد ؟

ام كيف أظلم والمختارُ مُعتمَدي ... ومدّحه ملجيء والركن والسند ؟

وقد يخرج الى معنى التوجع كما في قول ابي بكر السلاوي (ت : ٥٦٣ هـ)(٢)

كيف انتم سمح الله لكم ... كيف ودعتم هناك الرسلا ؟

كيف لم ينضج قلوبا حُرّقا ... كيف لم يُجر عيونا هُمّلا ؟

وقد يخرج الاستفهام الى معنى التحسر كقول ابن عبد الله محمد بن عبد الله الدمنار(٣)

فيا عهدَنا بالخِيفِ هل انت عائدٌ ... ويا أُنسَنا بالجزع هل انت آيبُ ؟

وهل راجعٌ عصرُ الشباب الذي انقضى ... وقد شيبت سودَ الشعور الشوائبُ ؟

ومن الاساليب التي استخدمها الشاعر الاندلسي (التمني) مستخدما فعل التمني (ليت) ، وقد وظفه الشاعر للتعبير عن حبه للرسول محمد صلى الله عليه وسلم ومنها ان يحظى بجواره ويبد و هذا في قول ابن زمرك(٤) :

ياليت شعري هل ارى اطوى الى ... قبر الرسول صحائفي [illegible]

---

(١) ديوان ابن الخلوف : ٧٢ . ينظر نفح الطيب ٧/ ٣١٥ .
(٢) زاد المسافر : ١٥٩ .
(٣) نفح الطيب ٧/ ٤٩٣ .
(٤) حياة وآثار ابن زمرك : ٣٠٥ . وينظر ديوان الصيب : ٣٢١ ، زاد المسافر : ١٥٨ ، نفاضة الجراب : ١٧٦ . وينظر ديوان ابن قركون : ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ .

ونرى ابن فركون يمزج امنيته بحسرة على مافاته بقوله(١) :

فيالليتني ماكنت ممن تخلفـــوا وعاجوا عن القصد الحميد واجمعـوا

كما استخدم الشاعر اسلوبا اخر من الاساليب الانشائية وهو اسلوب الترجي مستخدما فعلـــي (لعل) و (عسى) في التعبير عن حبه وشوقه كما في قول ابن فركون(٢) :

لعلي احظى بالجناب كرامـــة وقد رددت هل من مزيد جهنم ؟

ويميل ابن الخطيب الى استخدام هذا الاسلوب بقوله(٣) :

تقضّي زماني في لعلّ وفي عسىً فلا عزمةٌ تمضي ولا لوعة تهـدا

كما قد يعمد الشاعر الى استخدام لفظة (ارجو) للتعبير عن هذا المعنى كما في قول ابـــن الجنـان(٤) :

نرجوه في يوم الحساب واننـــا نرجو لموقفه العظيم عظيمـــا

يا ايها الراجون منه شفاعـــة صلوا عليه وسلموا تسليمـــا

وقد استخدم الشعراء اسلوبا اخر من الاساليب البلاغية التي كان لها حضورها الواضح وهـــو اسلوب القسم .

ومن صيغ القسم التي استخدمها الشعراء لفظ الجلالة (الله) ومن ذلك قول ابـــن عفيف الدين الايجي(٥) :

---

(١) ديوان ابن فركون : ٣٢٣ .
(٢) المصدر نفسه : ٣٢٤ .
(٣) نفاضة الجراب : ١٧٦ . كما ينظر نفح الطيب ٢/٤٩٣ . الاحاطة ٤/٨١ .
(٤) ديوان ابن الجنان : ١٤٩ .
(٥) نفح الطيب ٧/٤٧٩ . وينظر نفح الطيب ٧/١٨٠ . ازهار الرياض ٣/٢٤٨ .

والله مثل محمد لا يشبه ... والله مولاه العوالم كيف هو

وجه الوجوه بذاته وبه له ... وجه علا ويوجهه فتوجهوا

وقد يستخدم صيغة اخرى وهي حرف (التاء) مع لفظ الجلالة لتأكيد حبه للرسول كما في قول ابن زمرك(١) :

ياسائلي عن سر من احببته ... السر عندي ميت الاحياء

تا الله لا اشكو الصبابة والهوى ... لسوى الاحبة او اموت بدائي

كما اننا نرى الشاعر الاندلسي يستخدم الفعل (اقسم) في التأكيد على مدى حبه ومدحه لرسول الله . كقول ابن جابر الهواري(٢) :

اقسمت لازلت اهديهم شذى مدحي ... كالروض ينشر من اكمامه زهره

كما انه استخدم صيغة اخرى من صيغ القسم كما في قول الشامي الخزرجي(٣) :

فمن قال الهلال لها مثال ... لعمر الله في التمثيل اخطأ

وعمد الشعراء الى استخدام اسلوب التعجب ليعبروا عن انفعالاتهم التي تجول في خواطرهم فقد استخدموا لفظة (عجب) وتصريفاتها في كثير من الاحيان كقول ابن الخطيب(٤) :

تعجبت من سقمي وقد جاور الغضا ... لقلبي فلم يسكبه منه مدمع

واعجب ان لا يورق الرمح في يدي ... ومن فوقه عبر الشؤون سكوب

---

(١) حياة واثار ابن زمرك : ٣٠٤ .

(٢) نفح الطيب ٧/٣٢٦ . كما ينظر الاحاطة ٤/١٣٠ . وديوان ابن الجنان ٨٤ .

(٣) ازهار الرياض ٣/٢٧٦ .

(٤) ديوان الصيب : ٣٢٣ . وينظر نثير فرائد الجمان : ٣٨٠ . وديوان عبد الكريم القيسي : ٢٥ .

كما استخدم صيغة (افعل) التفضيل في هذا الاسلوب لاظهار مكارم المصطفى السامية كما في قول ابن الجنان (١) :

أكرم به من نبي سمت سما مكرماته

اعزز به من رسول سمت علا درجاته

وكان الأقدمون احاطه الاوفر من هذه الاساليب فكانوا يتضرعون الى الله سبحانه مستشفعين برسوله الكريم . ونلمس ذلك من خلال كثرة الدعاء ، كما في قصيدة ابي العطار الذي يكثر من ترديد هذه المفردة (صلوا) (٢) :

صلوا على بحر العلوم الزاخر صلوا على المسك الفتيق العاطر

وقد يصاغ اسلوب الدعاء باستخدام صيغ الطلب كما في قول ابن الطوف (٣) :

يا ارحم الراحمين جُدْ واغفر لنا كرما فانت انت امان الخائف الوجل

واغفر بحبه ذنوبا ليس يغفرها الا لك يا غافر الاوزار والخطل

وكذلك قول ابن خلدون (٨٠٨ هـ) (٤) :

هب لي شفاعتك التي ارجو بها صفحا جميلا عن قبيح ذنوبي

---

(١) ديوان ابن الجنان : ٧٤ . وينظر الاحاطة ٣/ ٣٩٥ .
(٢) نفح الطيب ٧/ ٤٨١ .
(٣) ديوان ابن الطوف : ١٣٩ . وينظر الديوان نفسه : ١٦٠ . ازهار الرياض ١/ ١٤٣ .
(٤) الاحاطة ٣/ ٥٠٩ .

ويمكن القول ان الشاعر الاندلسي عمد الى استخدام هذه الاساليب ليعبر من خلالها عما يدور في داخله من اشواق وحب للرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، وانفعاله في المواقف التي تتطلبها الشكوى لرسول الله باسلوب يستوعب ذلك الشوق وتلك الشكوى من دون ملل او تكلف .

وقد يعمد الشاعر احيانا الى السرد القصصي ولا سيما عندما يبتغي الحديث عن معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم كما في قول عبد الكريم القيسي (١) :

ودعا الى الاسلام شخصا كافرا ... متمردا في كفره نكّارا

فاجابه لكنْ بشاهد صحة ... يهدي فيبصر نوره ابصارا

فدعا اليه بعض اشجار الفلا ... فاتت اليه تخدد الاحجارا

حتى اذا وصلت اليه بجمعها ... صلّت عليه وسلّمت اكبارا

فالشخصُ يسمع صوتها ويرى حقيقة ... مشيها نحو الرسول جهارا

فاعجب لاحجار الفلا شهدت له ... ولعاقل في امره قد حارا

وغالبا مانجد السرد قريبا جدا من العرض التاريخي اكثر من انتمائه الى الفن القصصي ويبدو ذلك واضحا عند ابن الخباز عندما يعمد الى سرد احداث وتفاصيل تاريخية مبينا لنا من خلالها سيرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وكانه قد حول كتب السيرة والتاريخ الى نظم شعري (٢) :

---

(١) ديوان عبد الكريم القيسي : ٢٥ .

(٢) ازهار الرياض ٢ / ٣٨٤ . ينظر ديوان ابن الخطوف : ١٦٣ . نفح الطيب ٢ / ٣١٣ . ديوان الصيب : ٣٨٧ . حياة واثار ابن زمرك : ٣٠٥ .

فقرّبه دون الوفود وخصّـــــه ... ليسمعَ قولا في الرسالة شافيـا

فقال له انا وجدنا بكتبنـــــا ... نبيا يُرى من نحو ارضك اتيـا

يموت ابوه ثم تهلـك امـــــه ... ويكفله بعضُ العمومة حانيـا

وقد استخدم الشاعر الاندلسي ايضا اسلوب (التضمين) في قصيدة المديح النبوى مستخدما بعض الاشعار القديمة ، صارفا معناها الى مدح الرسول محمد صلى الله عليه وسلم فهذا ابن حازم (ت : ٦٨٤ هـ) يضمن قصيدة امرىء القيس على النحو الاتي (١) :

لعينيك قل إنْ زرتَ افضلَ مُرسلِ ... (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنـزل)

وزُر روضةً قد طالما طاب نشرهـا ... (لما نسجتها من جنوب وشمـأل)

وفي طيبـة تنزل ولاتخشى منـزلا ... (بسقط اللوى بين الدخول فحومل)

كما نجد ابن جـزى يضمن قصيدة اخرى لامرىء القيس صارفا معناها الى المديح النبوى (٢) :

---

(١) ديوان ابن حازم القرطاجني : ٨٩ . وينظر ديوان امرىء القيس ص ٨ .

(٢) ازهار الرياض ٣/ ٨٣ .

الصورة الشعريـــــة :

نظرا لاهمية الصورة الشعرية فلقد حظيت باهتمام الدارسين والباحثين (١) ، فهـي عنصر مهم من عناصر دراسة القصيدة وموضع بارز من موضوعاتها . وقد تكون انعكاسا لنفسيـة الشاعر واضاءة للنص من الداخل حتى عدها بعض الباحثين كالشمس للحياة (٢) .

لقد اصبح الحكم على جمال التصوير وبراعته ودقته مهما بعد ان احس المتلقـي بان الصورة اثبتت قدرتها على تحقيق التناسب بين حالة الشاعر الداخلية ومايصوره في الخارج ، ونقل ذلك الاحساس الى المتلقي من مخيلته نقلا امينا صادقا خاليا من الجفوة (٣) . وذلـك لان الصورة ليست تسجيلا فتوغرافيا للاشياء (٤) ، بل ترتكز في بنائها على عناصر التشبيـه والاستعارة وغيرها من ضروب التخييل والتصوير (٥) . لان للخيال اثرا بالغا في رسـم الصورة الشعرية وخاصة انه اداة التصوير عند الاديب فهو (الملكة التي تخلق وتنمي الصـورة الشعرية) (٦) . بل ان من النقاد العرب من يذهب الى ان الشعر يبني على الاستعـارة والتشبيه فهما مظهرا الخيال (٧) .

---

(١) ينظر الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ، د . جابر احمد عصفور ، القاهـرة (١٩٧٤) ، الصورة الادبية ، د . مصطفى ناصر ، مكتبة مصر ، القاهرة (١٩٥٨) .

(٢) ينظر فن الشعر ، احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ط ٣ ، ١٣ .

(٣) ينظر اصول النقد الادبي ، احمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية (١٩٦٦) ، ٢٤٩ .

(٤) الصورة في الشعر العربي حتى اواخر القرن الثالث الهجري ، دراسة في اصولهـا وتطورها ، د . علي البطل ، دار الاندلس ، بيروت ، ط ٣ (١٩٨٣) ، ٣١ .

(٥) ينظر ، اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ، د . محمد مصطفى هدارة القاهرة ، المعارف مكتبة الدراسات الادبية (١٩٦٣م) ، ٦٨ .

(٦) الصورة الشعرية ، سي دي لويس ، ترجمة الدكتور احمد الجنابي واخرين ، دار الرشيد بغداد (١٩٨٢) ، ٧٣ .

(٧) ينظر النقد الادبي ، احمد امين ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، ط ٣ (١٩٦٣) ، ١١٠

نستنتج من هذا كله ان الفنون التي ترسم الصوره الشعرية وبخيال عميق ومعبر هي: (التشبيه) و(الاستعارة) ، مما يدفعنا الى دراسة الصورة الشعرية على وفق هذين الفنين .

١ـ التشبيـــه :

يعد التشبيه واحدا من الاساليب المهمة في بناء الصورة الشعرية فهو يعتمد على عقد الصلة بين شيئين او اشياء لا يمكن ان تفسر على الحقيقة لانها لوفسرت كذلك لاصبحت كذبا (١).

فهو يحتاج الى قدرات خاصة من قبل الشاعر حتى يبدع فيه ويستطيع ان يعبر من خلاله عما هو كامن في نفسه ويتطلب خيالا فطنا ليمنح الصورة قوة . وقد تعددت اساليب التشبيه في قصيدة المديح النبوى ، الا ان التشبيه الصريح الذى تذكر فيه اداة التشبيه كان هو الغالب في تشكيل الصورة الشعرية ، حيث ان كل اداة تؤدى معنى المشابهة بين طرفي التشبيه تعد اداة للتشبيه سواء كانت حرفا ، ام اسما ، ام فعلا . وكثيرا ماعتمد الشعراء الاندلسيون في تشبيهاتهم على (الكاف) .

فنرى ابن جابر الهوارى يميل الى استخدام هذه الاداة بقوله مشبها كرم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بالبحر (٢) :

كالبحر لايفيض يوما وِرْدُه ... لوارد اذا اضاف او نتـــــى

---

(١) فنون بلاغية ، د. احمد مطلوب ، ط ١ (١٩٧٥م) / ٣٦ .
(٢) نفح الطيب ٧/٣٠٨ .

ويوكد هذه الصورة اى الكرم مضيفا اليها صورة اخرى وهي ضياؤه و نوره بقوله (١) :

كالبحر بل كالبدر جودا وسنـــا فحذا من احتذى او اقتـــدى

وكثيرا مايستخدم الشعراء الاندلسيون الاداة (كأن) فقد شاعت شيوعا كثيرا فـــي قصيدة المديح النبوى وذلك لانها تشكل صورا تتضمن شعورا اعمق واقتدارا اعلى على حمـــل الانفعال من (الكاف التشبيهية) وان (اكثر التشبيه دورانا في الشعر ... هو الـــذى يستخدم فيه (كأن) لما تقيمه من تخيل وتنهض من صور فنية ... كما انها اكثر ماتتصدر الجمل الشعريه مما يضاعف من قدرتها على استفزاز الخيال) (٢) .

ويعمد ابن جابر الهوارى الى استعمال (كأن) في تشبيهاته يقوله في رسم صـــورة الفرحة التي تعم المسلمين عند رؤية نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم (٣) :

كأنهم اذا رأوا غرتـــه وقد حجيـــح عاينوا ام القـــرى

وجه لديه يحمد السير كـــذا عند الصباح يحمد القوم السـرى

ونرى ابن الخطيب يميل الى استخدام هذه الاداة في رسم صورة الناقه وهي تسير فـــي الصحراء قاصدة الاراضي المقدسة مشبها اياها بالسفينة بقوله (٤) :

---

(١) نفح الطيب ٣١١/٧ . كما ينظر ديوان ابن عربي : ٧ ، ١٤٩ . وينظر ديوان ابـــن فركون : ٣٢٣ . وينظر حياء واثار امـ ـرث : ٣١٥ . وينظر ساحة الجراب : ١٢٤ .

(٢) انتاج الدلالة الادبية ، د . صلاح فضل ، القاهرة ، ط ١ (١٩٨٧) ، ٢٥٠ .

(٣) نفح الطيب ٣١٢/٧ .

(٤) ديوان الصيب : ٣٦٧ .

ركائب تستف الفلا فكأنهـــا سفائن في بحر السراب سوابـــح

ونرى الشاعر الاندلسي يبني في تصوير سير هذه النافه وما تثيره من حصى متطاير من تحت اقدامها مشبها اياه بالسهام التي ترميها القسي ، يقول ابن جابر الهواري (١) :

يطيح مفتوت الحصى من دونهـا كأنه سهم عن القوس طحـــا

ومن انواع التشبيه الاخرى ما حذفت منه اداة التشبيه ، فتتميز الصورة المتولدة عن ذلك بقوتها وتأكيد انطباعها في الذهن ، فهذا ابن جابر الهواري شبه التشوق الى رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم بتشوق السارى في الظلمات الى نار القرى بقوله (٢) :

لهم الى رؤيته تشـــوق تشوّق السارى الى نار القـــرى

ويعمد ابن الخطيب الى رسم صورة اخرى معتمدا فيها هذا النوع من التشبيه فيشبه حاله عند ما تخلف عن الركب الميمون بالطير الذى تخلف عن سرب الطيور لاصابه لحقت بـــه بقوله (٣) :

تخلف مني ركب طيبة عانيـــا اما آنَ للعاني المعنى بأن يُفدى

مخلّفُ سرب قد أُصيب جناحُـه فطرنَ فلم يستطع مراحا ولا مغـــدى

وقد يعتمد الشاعر في رسم صوره على التشبيه الذى يوظف الاعمال من خلاله تلـــك المشابهه ، كقول ابن جابر مستخدما الفعل (حسب) في تشبيه الرسل بالسحاب والرســـول

---

(١) نفح الطيب ٧/ ٣٠٠ ، كما ينظر النفح ٧/ ٣١٣ ، ٣١٤ ، ازهار الرياض ٣/ ٢٣٠ ، ٢٣٣ ، ٢٤٤ ، نفاضة الجراب : ٣٨٤ ، والذيل والتكملة ٦/ ١٢٠ .

(٢) نفح الطيب ٧/ ٣١١ ، وينظر ديوان ابن الخطوف : ١٦٠ ، ازهار الرياض ٣/ ٢٣٦ .

(٣) ديوان الصيب : ٤٧٥ .

محمد صلى الله عليه وسلم من بينهم **بالنجم** المضيء فضلا عن صورة كرمه حيث يشبهه بالغيث العزيز بقوله (١) :

ان تحسب الرسل سماء قد بدت ... فأنه في افقها نجم هدى

وان يكن كل كريم قد مضى ... طلا فقد اضحى لنا غيث جدا

وان يكونوا انجما في فلك ... فانه من بينهم بدر بدا

٢- وشكلت الاستعارة الوسيلة الثانية في رسم الصورة الشعرية بل هي من الوسائل المهمة في تشكيلها بما تملكه من قدرة فائقة على الايحاء والتخيل . وتكون اعمق من التشبيه خيالا وتصويرا واكثف منه تعبيرا ، فهي تحمل السامع على تخيل صور موحية يتعدى فيها حدود العلاقات المألوفة ، وان خير من تحدث عن خصائصها الفنية عبد القاهر الجرجاني بقوله (ومن خصائصها التي نذكر بها انها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من الالفاظ ... فانك ترى فيها الجماد حيا ناطقا والاعجم فصيحا والاجسام الخرس مبينة ، والمعاني الخفية بادية جلية ... وان شئت اتتك المعاني اللطيفة التي هي في خبايا العقل كأنها قد بسمت حتى رأتها العيون وان شئت لطفت الاوصاف الجسمانية حتى تعود روحية لا تنالها الا العيون) (٢) .

وكما قسم البلاغيون التشبيه الى تقسيمات وانواع فقد قسموا الاستعارة ايضا ، حتى وصلت الى سبعة وثلاثين نوعا (٣) . وسنوّه هنا على الاستعارات التي استخدمها شاعر المديح النبوي في قصائده المدحية . فقد اعتمد الشاعر في تشكيل استعاراته على (التشخيص) وهو

---

(١) نفح الطيب ٢٩١/٧ . وينظر الكتيبة الكامنة : ٣٠ .

(٢) اسرار البلاغة عبد القاهر الجرجاني ، تعليقه السيد محمد رشيد رضا ، ط ٢ ، د . ت : ٣٣ .

(٣) ينظر معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، د . احمد مطلوب ، بغداد (١٩٨٣ م) ١٣٦/١ - ١٧٤ .

ضرب من ضروب الخيال (١) . ووسيلة من وسائل الفن القوية (٢) . ونعني بها خلع صفات ماهو حسي وانساني على الاشياء الجامدة وبث الحركة فيها (٣) .

فالشاعر يمنح الحياة لما هو جامد ساكن عن طريق العاطفة . فهذا لسان الدين ابن الخطيب يقول (٤) :

وميس رأى برد الغمامة مغفلا فمد يدا بالتبر اعطت البردا (٥)

حيث رسم صورة جميلة جاعلا من البرق يرى ويمد يدا محملة بالذهب وهذا ابن زمرك يرسم صورة مقاربة لهذه الصورة بقوله (٦) :

والبرقُ لاح من الظلماء مبتسما من جانب السفح الادمعةً سفحا

والسحبُ تنثرُ دُرَّ الدمع عن طرف والجو يخلع من برق الدجا وُشُحا

فهو ايضا يعتمد في رسم هذه الصورة على التشخيص جاعلا صورته امتدادا لصورة استاذه لسان الدين ابن الخطيب من ابتسامة البرق وبكائه رجعله للسحب ، موما تنثرها من عيونها والجو يخلع من هذا البرق وشاحا .

---

(١) ينظر فن الشعر ، د . احسان عباس ، دار بيروت للطباعة والنشر (١٩٥٥) / ١٤٧ .

(٢) ينظر في الميزان الجديد ، د . محمد مندور ، القاهرة ، ط٢ / ٢١ .

(٣) ينظر الصورة الشعرية ، سي دي لويس : ١٤٣ .

(٤) ديوان الصيب : ٤٧١ ـ ٤٧٢ . وينظر : ٢٩٠ ، ٣٢٣ .

(٥) التبر : الذهب كله وقيل هو من الذهب والفضة وجميع الجواهر في الارض ، ينظر لسان العرب ٤ / ٨٨ .

(٦) حياة واثار ابن زمرك : ٣١٢ .

ويعمد ابن الخلوف ايضا الى هذا النوع من الاستعارة في رسم صورة شجاعة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بقوله(١) :

وان مدّ للاعداء في النقع اسمرا ... ارى الاسد الضارى يقلب ارقما

وان شمّرت عن ساقها الحرب البسـ ... ـر العداة لباس الموت احمر عندما

حيث جعل للحرب يدين تشمر بهما عن ساقها وكأنها شخص يرتدي ثوبا ويشمر بيديه هذا الثوب عن ساقه .

وقد لاتأتي الاستعارة مضغوطة في بيت او بيتين وانما تتوزع على اكثر من ذلك لتشكل لوحة متكاملة في القصيدة كما في قول ابن الخلوف ايضا من قصيدة مدحية(٢) :

رأى البرق تعبيس الدجى فتبسما ... فصافح ازهار الربى فتبسما

ولاح جبين الصبح في طرف الدجى ... فخلتْ بياض الثغر في سمرة اللمى

واوتر رامي الجو قوسَ سحابة ... وارسل نحو الارض بالقطر أسهما

وقد بلّ اردانَ الثرى دمعُ مزنة ... تناثر في اسلاكها فتنظما

ونلمس اثر الطبيعة دائما في مخيلة الشاعر فقد مكنته من رسم الصور الجميلة لان بعض الصور التي إستمطرها الشاعر في اسلوبه ترجع الى مشاهداته(٣) . ونرى هنا ابن الخلوف يبدع في رسم صورة جميلة مستمدة من جمال الطبيعة بقوله(٤) :

---

(١) ديوان ابن الخلوف : ١٦٦ . وينظر الطرب : ٢٧ . نفح الطيب ٢/ ٦٠٠ ، ٧/ ٣٠٠ . نثير فرائد الجمان : ٣٨٠ ، ٣٨٤ . ازهار الرياض ٣/ ٢٣٥ .

(٢) ديوان ابن الخلوف : ١٥٨ .

(٣) ينظر دراسات في علم النفس الادبي ، د . حامد عبد القادر ، الطبعة الثانية (١٩٥٤) / ١٦٧ .

(٤) ديوان الصيب : ٤٨٢ .

وسرعان ما كانت مناسفَ للصبـــا ... فقد ضحكت زهرا وقد خجلت وردا

بلاد عهدنا في قرارتها الصبـــا ... يقر لذاك العهد ان يألف العهدا

اذا ما النسيم اعتلّ في عرصاتهـــا ... تناول فيها البانَ ، والشيحَ والرندا

الا ان الاستعارة المبنية على التجسيم تقل في قصائد المديح النبوي والتجسيـــم : هو جعل المعنويات محسوسة من خلال اضفاء الحركة عليها بعد منحها صفات المخلوقـــات المتحركة ، فيكون للمعنويات من التصرف مايكون للانسان والحيوان ، فترى وتسمع وتشـــم وتذوق (١) . ونلمس ذلك في قول ابن زمرك مفتتحا احدى قصائده المدحية (٢) :

زار الخيال بأيمن الـــزوراء ... فجلا سناه غياهبَ الظلمـــاء

وجرى مع النسمات يسحب ذيلـه ... فأتت تَنمّ بعنبر وكهـــاء

هذا وماشيء الذّ من المنـــى ... الا زيارته مع الاغفـــاء

بتنا خيالين التحفنا بالضنـــى ... والسقمُ ماتخشى من الرقبـــاء

---

(١) الصورة الشعرية ، سي دي لويس : ٧١ .

(٢) حياته وآثار ابن زمرك : ٤٠٣ .

الموسيقـــــي :

تنقسم موسيقى الشعر على نوعين ، موسيقى خارجية تتمثل في الاوزان والقوافي ، وموسيقى داخلية تتمثل في ذلك الانسجام الصوتي الداخلي الذى ينبع من التوافق الموسيقي بيـــن الكلمات ودلالاتها ، او بين بعض الكلمات وبعضها الاخر وهو الانسجام الصوتي الذى يحققـه الاسلوب الشعرى من خلال النظم(١) .

الموسيقى الخارجية : يعد موضوع الوزن واحدا من اقدم الموضوعات التي شغلـــت اذهان الشعراء ودارسي الشعر والنقاد ، والذى يهمنا هنا هو الاجابة عن سؤال محدد وهـو هل ان قصيدة المديح النبوى قد تخصصت في بحر معين ؟

وللاجابة عن هذا السؤال يمكن القول ان قصيدة المديح النبوى لم تلتزم بحرا واحـدا ولكن مالت الى البحور الطويلة كالطويل والكامل والبسيط والوافر وكان البحر الطويل الاوفر مـن بين هذه البحور فقد نظمت اغلب قصائد المديح النبوى على هذا البحر(٢) .

الا انها لم تقتصر على هذه الاوزان فقط لانها نظمت على الاوزان الصغيرة كما فـي مجزوء الرجز الذى استعمله محمد بن بكر بن مرزوق (ت : ٨٧١ هـ)(٣)

ايا نسيـم السحـــر بالله بلـــغ خيـــر

اما في مجال القوافي فان قصيدة المديح النبوى لم يكن لها خصوصيتها في مجال القوافي بـل جاءت مسايرة لما استخدمه الشعراء من قوافٍ في الاغراض الاخرى ، فقد جاءت تلك القوافي مـن

---

(١) ينظر الشعر الجاهلي ، ابراهيم عبد الرحمن محمد ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٠ : ٢٨٣ .

(٢) ينظر ديوان ابن الجنان : ٢٤٠ ، ٨٠ ، ١١٧ . كما ينظر ديوان الصيب : ٢٢٠ ، ٣٦٨ ، ٤٧١ ، ٤٨٨ ، ٥٧٥ .

(٣) الاحاطة ٣/ ١١١ . وينظر ديوان ابن الجنان : ٧٤ .

غير تكلف وكأنها كانت حاضرة في بديهة الشعراء وفي مخيلاتهم ، الا انهم لم يقتصروا على هذه القوافي دائما بل نظموا في مختلف حروف المعجم ولكن بنسب متفاوته وكثيرا ماعمد الشعراء الى استخدام القوافي المتبوعه بالف الاطلاق وذلك ليزيدوها سعة وامتدادا كقول لسان الدين بن الخطيب(١) :

تألق نجد يا فاذكرني نجـــدا وهاج بي الشوقَ المبرّح والوجـدا

ومبيض رأى برد الغمامة مغفـــلا فمد يدا بالتبر أعطت المـــــردا

وقوله في قصيدة اخرى(٢) :

دعا عزماتي والمطية والوخـــدا والا فكها الشوق عني والوجـــدا

وقوله في قصيدة اخرى(٣) :

ماجتك اذ جئت اللوى فـزر ودا ذكراك اوطانا بها وعهـــــودا

ولقد مر بنا ان بعض الشعراء عمدوا الى اتباع لزوم مالايلزم في قصائدهم النبويـــة (واللزوميات نوع من الرياضة النفسية المفعمة بالقيود التي يحيط بها الشاعر نفسه رغبة منه في اثبات قدرته الذهنية والربط بينها وبين موهبته الفنية)(٤) .

ومنهم من التزم حرف الروي في بداية البيت كما في قول مالك بن المرحل(٥) :

---

(١) ديوان الصيب : ٤٧ .
(٢) م . ن : ٤٧٩ .
(٣) م . ن : ٤٨٤ .
(٤) اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع الهجري ، د . بديل بيل ، دار الثقافة ط ١ ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م : ٣٩ .
(٥) المعشرات اللزومية نظم مالك بن المرحل ، مجلة المورد ، المجلد التاسع ، العدد الرابع : ٥٢٢ .

محمد الممدوح بالشعر فاعلـــم ... وصلِّ على هذا النبيي وسلـــم

محبته تتلو محبة ربـــــــه ... وكلتا هما نور على كل مسلـــــم

هذا فضلا عن الانماط الاخرى التي وجدت القوافي في رحابها مجالا واسعا للتجديد كما مر بنا في الموشحات .

الموسيقى الداخلية : واعني بها الايقاع الذي تحدثه الالفاظ داخل البيت الشعري فيأتي النص مفعما بالتنويعات اللحنية الجميلة ، ولعل ظاهرة التكرار من اشد المظاهـــر التي لمها وقعها وقدرتها على خلق التنويع اللحني في البيت الشعري ، ويأتي التكرار باساليب عديدة فهو قد يكون بتكرار حرف بعينه او اكثر من حرف في البيت الشعري ، ويكون بتكـــرار كلمات يختارها الشاعر اختيارا فنيا حاملة في طياتها انغاما موسيقية وايقاعات لها خصوصيتهـــا . ومثال تكرار الحروف قول ابن الجنان موكدا على حرف السيـــن (١) :

سلامٌ على من سار في الليل سيدا ... فزار من البيت المقدس مسجـــدا

تكرار حرف الراء عند ابي محمد عطية بن يحيى (٢) :

رسولٌ كريمٌ رفّع اللهُ قـــدرَه ... واعلى له قدرا رفيعَ الجوانـــب

وكان لتكرار هذه الحروف وامثالها اثرها البالغ في نفس المستمع لما يضفيه على النـــص من حلاوة وجمال تبدو واضحة على الموسيقى الشعرية للبيت . وهذا النمط من التكرار كثيـــر وشائع جـــدا (٣) .

---

(١) ديوان ابن الجنان : ٨١ . وينظر القصيدة المباركة الشريفة ... محمد مصطفى : ١٠٨ .

(٢) نفح الطيب ٢٨٥/٧ . وينصر ديوان الصيب : ٣٨٠ .

(٣) ينظر الاحاطة ١١٢/٣ ، ١٣٥ . كما ينظر نفح الطيب ٤٤٢/٧ ، ٤٤٣ . وينظـــر الكتيبة الكامنة : ١٣٦ .

وقد يكون التكرار مختصا بكلمات معينة في بعض الابيات الشعرية ومن ذلك قصيدة ابن الجنان المسماة (بالقصيدة المباركة الشريفة) اذ نلاحظ هذا الاسلوب بارزا حيث استهل كلا من ابياتها بكلمة (سلام) بل اعاد ها مرتين في قسم من الابيات الشعرية، والسلام اسم من اسماء الله الحسنى ودار السلام هي الجنة فهي تحمل دفقا معنويا وتوفر الطمأنينة وغالبا مايلي هذه اللفظة حرف جر يليه اسم موصول كما في (سلام على من) ويقع هذا في تسعة وثمانين بيتا يقول ابن الجنان في مطلع القصيدة(١) :

سلام على من جاء بالحق والهدى ... ومن لم يزل بالمعجزات مؤيدا

سلام على خير البرية شيمة ... واكرمها نفسا وبيتا ومحتدا

وغالبا مانجد تكرار كلمة (صلوا) في اغلب قصائد المديح النبوي(٢) :

ويعد الجناس ضربا من ضروب التكرار وقد عده الدكتور ماهر مهدي بأنه (ضرب من ضروب التكرار ، ونسلكه فيما يراد بالتكرار من تقوية نغمية لجرس الالفاظ)(٣) . ومن الجناس الذي جاء حسنا في موضعه قول محمد بن جزي الكلبي (ت : ٧٥٧ هـ)(٤) :

بعيشكما هل لي الى ارض طيبة ... سبيل فاما الصبر عنها فلا صبرا

فمنى النفس في تلك المعالم زورة ... ابث بها شكوى واشكو بها وزرا

وكم زجرتها واعضات زمانها ... فما سمعت وعضا ولاقبلت زجرا

---

(١) ديوان ابن الجنان : ٨٠ .

(٢) المصدر نفسه : ١٤٨ .

(٣) جرس الالفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب ، د . ماهر مهدي هلال ، دار الرشيد للنشر ، بغداد (١٩٨٠) : ٨٥ .

(٤) الاحاطة ٣٩٦/٣ . وينظر ديوان ابن الجنان : ٨٤ . وينظر المطرب لابن دحية : ٩٧ .

ونرى ابن الخطيب يميل الى هذا الاسلوب من التكرار بقوله (١) :

فاصبح غصنا ذا مروح ونعمـــة ... وماعذره مما ذكرت فلم يمـــرح

رجاؤك سؤلي كلما جرح الاســى ... ولا يستوى آسى الكلوم ومن يجرح

وقد كان في قلبي لبعدك قرحـة ... وفودي لم يشهب وسني لم يقـرح

فكيف وقد رانت عليه ذنوبـــه ... وإن انا لم اضرح فويلي متى اضرح

فضلت النبيين الكرام مزيـــة ... وكم بين ربي اشرح وبين الم نشرح

لقد استطاع ابن الخطيب من خلال تلاعبه بالجناس من تحقيق نغمة موسيقية مضفيـا على النص جمالا وروعه فضلا عما صاحب ذلك من رد للاعجاز على الصدور كما لا يخفى ما للراء من اثر كبير في تحقيق الموسيقى الداخلية لهذه المقطوعة فكان لتكراره وقع وجرس مؤثر علـى اذن السامع والمتلقي مما اضاف جمالا خاصا لهذه المقطوعة .

وقد تفنن الشاعر الاندلسي في تكراره وفق اسلوب رد الاعجاز على الصدور وقد كانت هذه الصيغة شائعة في قصيدة المديح النبوى فقد يكون رد العجز على اول كلمة كما في قول ابن جبير (٢) :

سر بنا يا حادى العيس عسى ... ان نلاقي يوم جمع سر بنا

شم لنا البرق اذا هب وقل ... جمع الله لجمع شملنا

وقد يكون رد الاعجاز على الحشو كما في قول ابن الجنان (٣) :

---

(١) ديوان الصيب : ٣٨٠ .
(٢) زاد المسافر : ١٦٠ .
(٣) ديوان ابن الجنان : ٨٤ .

سلام على من أُخمِدَت نارُ فـــارس بنور له نار الظلالة اخمـــــــدا

وقد يكون رد الاعجاز على اخر كلمه من الشطر الاول كما في قول ابن الجنان ايضا (١)

سلام على من كان في الفضل اوحدا فلا غرو ان يلقى لدى الفضل اوحدا

وقد يلعب الطباق مع الجناس دورا بارزا في تحقيق الايقاع الموسيقي كما في قول ابن الخبازه (٢) :

فلا مدحَ الا للذى يحمد يحـــهِ تطيعُ اذا ماكنتَ بالمدح عاصيـــــا

وقد يحقق الجناس الازدواجي (٣) ذلك النغم في الموسيقى كما في قول ابن خاتمه الانصارى (٤) :

لافضل الناس من حافٍ لمنتعلٍ واكرم الرسل من بادٍ لمختتـــــمِ

---

(١) ديوان ابن الجنان : ٩٣ .
(٢) ازهار الرياض ٢/ ٣٨٢ .
(٣) الجناس الازدواجي هو الجرس الناتج عن المشابهه في زنة الالفاظ ، يسطر المرشـــد ٢/ ٥٧١ .
(٤) ديوان ابن خاتمة : ٢٠ .

الخاتمة

الخاتمـــــة

وبعد ان وصل البحث الى نهايته وكملت صورته وتحددت ابعاده ارى من الواجب علي على ان اقف وقفة عجلى على اهم النتائج التي توصلنا اليها ٠

١ــ ان الظـروف قد مهدت لظهور وانتشار هذا الغرض الشعرى بشكل واسع وادت الـــى تطوره تطورا كبيرا وشيوعه عند جميع الشعراء ومن مختلف الطبقات كالامراء والوزراء وعامة الناس ٠

٢ــ ذكر الشعراء جميع الصفات والسجايا التي تميز بها الرسول الكريم محمد صلى اللـــه عليه وسلم محاولين قدر استطاعتهم ان يستذكروا صورته الخلقية والاخلاقيـة ٠

٣ــ لقد تحدث الشعراء في قصائد هم المدحية عن جميع المعجزات التي اختص بهـــا النبي محمد صلى الله عليه وسلم من بين جميع البشر وتغنوا بذلك وتفاخروا ٠

٤ــ جعل الشعراء الاندلسيون (الشفاعة) هدفا من اهداف قصائد هم المدحيـــة ٠ اذ تحولت قصائد هم الى نفثات ايمانية طافحـة بالتضرع والدعاء والتبرك وكل ذلك مـن اجل ان تكون هذه القصائد سندا لاعمالهم الصالحة ولعباداتهم يوم القيامة ٠

٥ــ نظمت قصيدة المديح النبوى على انماط شعرية عدة كالقصيدة التقليدية والموشـــح والمخمس والمسدس وغيرها ٠

٦ــ تأرجحت لغة القصيدة المدحيه بين الليـن والجزالة تبعا للمعاني والصور الشعريـــة التي يعبر عنها وقد تميزت اساليبهم بالسهولة والبساطة مع تفنن واضح في الصياغـــة والنسيـج ٠

٧ــ لم يتقيد شاعر المديح النبوي بوزن معين او قافية معينة وانما نوع في اوزانه الشعرية مع ميل الى الطويلة منها .

٨ــ حفلت قصيدة المديح النبوي بالصور الشعرية المعتمدة على الفنون البلاغية كالتشبيه والاستعارة . وقد رسمت اغلب صوره الاستعارية على وفق اسلوب التشخيص .

وفي الختام فأني احمد الله تعالى على عظيم منه وكرمه بأن هيأ لي شرف الكتابة في هذا الموضوع ويسر لي السبل واعانني حتى وصل البحث الى نهايته ، فاليه تعالى اضرع ان يجعل اغلاطي محسوبة وهفواتي معدودة وحسبي اني طالب علم يجتهد ، فان كنت قد احسنت فبفضل من الله وان اخطأت فمالي اجر المجتهد ... وبركة وشفاعة من تشرفت بدراسة شعر مديحه عليه افضل الصلاة والسلام ومن الله التوفيق ...

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- اتجاهات الشعر الاندلسي الى نهاية القرن الثالث الهجرى . د . نافع محمود ، دار الشؤون الثقافية ، وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ، ط١ (١٩٩٠م) .
- اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجرى . د . محمد مصطفى هدارة ، القاهرة ، المعارف ، مكتبة الدراسات الادبية (١٩٦٣م) .
- اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع الهجرى . د . نهيل خليل ، دار الثقافة ، ط ١ (١٩٨٥م) .
- اتجاهات النقد خلال القرنين السادس والسابع الهجريين . د . محمد عبد المطلب مصطفى ، دار الاندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط ١ (١٩٨٤م) .
- الاحاديث القدسية ومنزلتها في التشريع . د . اسماعيل شعبان محمد ، الرياض ، دار المريخ (١٩٨٥م) .
- الاحاطة في اخبار غرناطة ـ لسان الدين ابن الخطيب ـ حقق نسخه ووضع مقدمته وحواشيه محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ١ (١٩٧٥م) .
- اختصار القدح المعلى في التاريخ المطى لابن سعيد ... حسن بن علي بن موسى ، اختصره ابو عبد الله بن خليل ، تحقيق ابراهيم الابياري ، دار الكاتب اللبناني ، بيروت ، ط ٢ (١٤٠٠ هـ) .
- الادب الاندلسي في عصر الموحدين . د . حكمت علي الاوسي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، د . ت .

- ازهار الرياض في اخبار عياض ، شهاب الدين احمد بن محمد ، تحقيق الاساتذة : مصطفى السقا، ابراهيم الابياري ، عبد الحفيظ شلبي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة (١٩٣٩ ـ ١٩٤٢) .
- اسد الغابة في معرفة الصحابة ، عز الدين ابن الاثير ، المطبعة الوهبية ، القاهرة ، (١٢٨٦ هـ) .
- اسرار البلاغة في علم البيان ، عبد القاهر الجرجاني ، تعليق محمد رشيد رضا ، دار المطبوعات العربية
- اصول النقد الأدبي . احمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية (١٩٦٧) .
- الاكتفاء ، سليمان بن الربيع ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، مكتبة الخانجي ، بالقاهرة ، ومكتبة الهلال ، بيروت (١٩٦٨) .
- البدء والتأريخ للمقدسي ، اعتناء كلمان هوار ، باريس (١٩١٦) .
- البداية والنهاية . لابي الفداء بن كثير ، طبعة جديدة منقحة ، دار الفكر ، بيروت ، (١٩٧٨) .
- تاج العروس . محمد مرتضى الزبيدي ، تحقيق عبد الستار احمد فراج ، ط ٢ (١٩٦٥) .
- تأريخ ابن خلدون . كتاب العبر وديوان المبتدء والخبر ، دار الكتاب اللبناني ، ومكتبة المدرسة ، بيروت ، لبنان (١٩٨٦) .
- تأريخ الادب الاندلسي عصر سيادة قرطبة . د . احسان عباس ، بيروت ، دار الثقافة المكتبة الاندلسية .
- تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين . يوسف اشباخ ، ترجمه محمد عبد الله عنان ، مطبعة لجنة التأليف والترجمه (١٩٦١م) .
- تأريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، عبد الله محمد بن ابراهيم الزركشي ، تحقيق محمد ماظور ، ط ٢ (١٩٦٦م) .

- التاريخ الكبير ، علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي ، ابن عساكر ، ترتيب وتصحيح عبد القادر افندي بدران ، (الشام ، مطبعة الروضة) (١٣٢٢ هـ) .
- تاريخ الدين بالامامة على المستضعفين بأن جعلهم ائمة وجعلهم وارثين . عبد الملك بن صاحب الصلاة ، تح: عبد الهادي التازي ، دار الاندلس للطباعة والنشر، بيروت ، ط ١ (١٣٨٣ هـ) .
- تبسيط العروض . نور الدين صمود ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، ط ٢ ، (١٩٨٦) .
- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف . عبد العظيم بن عبد القوي المنذري ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، بيروت ، دار الفكر (١٩٧٩م) .
- التصوف الاسلامي في الادب والاخلاق . د . زكي مبارك ، القاهرة ، مطبعة الرسالة (١٩٧٨) .
- التطور والتجديد في الشعر الاموي . شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر، ط ٢ (١٩٧٩م) .
- جرس الالفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب . د . ماهر مهدي هلال ، دار الرشيد للنشر ، بغداد (١٩٨٠) .
- حياة واثار ابن زمرك . حمدان حجاجي ، رسالة دكتوراه على الالة الطابعة قدمت الى جامعة الجزائر ، ١٩٨٤ .
- خزانة الادب . ابن حجة الحموي ، مطبعة بولاق ، القاهرة (١٣٩١ هـ) .
- خمسة مداخل الى النقد الادبي ، تصنيف ويليرس سكوت ، ترجمة وتقديم الدكتور عناد غزوان اسماعيل ، جعفر صادق الخليلي ، وزارة الثقافة والاعلام ، دار الشؤون الثقافية العامة ، د . ت .

- دار الطراز في عمل الموشحات ، ابو القاسم عبد الله بن جعفر بن سناء الملك تحقيق جودة الركابي ، مطبعة دار الفكر ، دمشق ، ط ٢ (١٩٧٧م) .
- دراسات في الادب الاندلسي ، د . سامي مكي العاني ، ساعدت الجامعة المستنصرية على نشره سنة (١٩٧٨م) .
- دراسات في علم النفس الادبي ، د . حامد عبد القادر ، المطبعة النموذجية (١٩٥٤م) .
- دلايل النبوة ، احمد بن عبد الله الاصبهاني ، عالم الكتب ، بيروت ، توزيع مكتبة المتنبي ، القاهرة ، د . ت .
- ديوان ابن الابار القضاعي ، قراءة وتعليق د . عبد السلام الهراسي ، المطبعة العربية التونسية ، الدار التونسية للنشر (١٩٨٥) .
- ديوان ابن الجنان الانصاري الاندلسي جمع وتحقيق ودراسة منجد مصطفى بهجت ، الموصل ، دار الكتب ، جامعة الموصل (١٩٩٠) .
- ديوان ابن حيان النفزي الاندلسي ، تحقيق د . احمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي ، مطبعة العاني ، بغداد ، ط ١ (١٩٦٩م) .
- ديوان ابن خاتمة الانصاري ، تحقيق وتقديم د . محمد رضوان الداية ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، دار احياء التراث العربي .
- ديوان ابن الخلوف ، المطبعة السليمية ، بيروت ، (١٩٧٣م) .
- ديوان ابن سهل الاندلسي ، دراسة وتحقيق يسرى عبد الغني عبد الله ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ (١٩٨٨م) .
- ديوان ابن عربي الحاتمي ، مكتبة المثنى ، بغداد .

- ديوان ابن قركون • تقديم وتعليق محمد بن شريفة ، مطبوعات اكاديمية المملكة المغربية (١٩٨٧م) •
- ديوان ابي الحسن الششتري • تحقيق علي سامي النشار ، الاسكندرية ، طبعة منشأة المعارف (١٩٦٠) •
- ديوان الاعشى الكبير • ميمون بن قيس ، شرح وتعليق د • محمد محمد حسين ، مكتبة الاداب بالجامع (١٩٥٠م) •
- ديوان امرئ القيس • تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، مصر (١٩٥٨م) •
- ديوان حازم القرطاجني ، تحقيق عثمان كعاك ، بيروت ، لبنان ، مطبعة الصيدية ، (١٩٦٤م) •
- ديوان دعبل الخزاعي • جمع وتحقيق عبد الصاحب الزحيل ، مطبعة الاداب ، النجف (١٩٦٢) •
- ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام • لسان الدين ابن الخطيب ، تحقيق محمد [illegible] ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط ١ (١٩٧٣م) •
- ديوان طرفة بن العبد ، تحقيق لطفي الصقال ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق (١٩٧٥م) •
- ديوان عبد الكريم القيسي • تحقيق الدكتور جمعة شيخة والدكتور محمد هادي الطرابلسي ، بيت الحكمة ، تونس (١٩٨٨م) •
- ديوان عنترة بن شداد • تحقيق وتقديم فوزي عطوي ، بيروت ، ط ١ (١٩٦٨م) •
- ديوان الموشحات الاندلسية • تحقيق سيد غازي ، الاسكندرية ، منشأة المعارف (١٩٧٩م) •

- ديوان النابغة الذبياني . تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ط ٢ ، د . ت .
- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة . عبد الملك عبد الله المراكشي ، تحقيق د . احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت (١٩٦٥) .
- زاد المسافر وغرة محيى الادب السافر . لابي بحر صفوان بن ادريس التجيبي ، اعداد وتعليق عبد القادر محداد ، بيروت ، لبنان (١٩٨٠) .
- سنن ابن ماجة . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة (١٩٥٣) .
- سنن الترمذي ، محي بن سورة ، تحقيق احمد محمد شاكر ، القاهرة ، مطبعة مصطفى الحلبي (١٩٦٤) .
- شذرات الذهب في اخبار من ذهب . لابي الفلاح عبد الحي بن العماد ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، د . ت .
- شرح الشفا . الامام الملا علي القازي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، د . ت .
- الشعر الجاهلي . ابراهيم عبد الرحمن محمد ، دار النهضة العربية ، بيروت (١٩٨٠ م) .
- الشعر النسوي في الاندلس ، محمد منتصر الريسوني ، قدم له عبد الله كنون ، لبنان ، بيروت (١٩٧٨) .
- الشعراء السود وخصائصهم في الشعر ، عبدة بدوي ، وزارة الثقافة والاعلام ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٧٣ م) .
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى . القاضي عياض ، مطبعة المشهد الحسيني ، القاهرة ، د . ت .

- صحيح البخاري ، محمد بن اسماعيل بن المغيرة البخاري ، دار الطباعة المنيرية ، مصر ، مطابع الشعب (١٣٧٨ هـ) .
- صحيح مسلم بشرح النووي ، بيروت دار احياء التراث العربي ، ط ٢ (١٩٧٢) .
- الصورة الادبية ، د . مصطفى ناصر ، مكتبة مصر ، القاهرة (١٩٥٨م) .
- الصورة الشعرية ، سي دي لويس ، ترجمة الدكتور احمد نصيف الجنابي واخرون ، دار الرشيد ، بغداد (١٩٨٢م) .
- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، د . جابر احمد عصفور ، بيروت ، دار التنوير ، ط ٢ (١٩٨٣م) .
- الصورة في الشعر العربي حتى اواخر القرن الثالث الهجري ، دراسة في اصولها وتطورها ، د . علي البطل ، دار الاندلس ، بيروت ، ط ٣ (١٩٨٣) .
- الطبقات الكبرى ، ابن سعد ، دار صادر ، بيروت (١٩٦٠) .
- ظهور الاسلام ، احمد امين ، مطبعة لجنة التأليف ، القاهرة (١٩٥٣) .
- عروض الموشحات الاندلسية ، دراسة وتطبيق مقداد رحيم ، وزارة الثقافة والاعلام ، دار الشؤون العامة ، بغداد ، ط ١ (١٩٩٥) .
- عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس ، عبد الله عنان ، مطبعة لجنة التأليف ، القاهرة ، ط ١ (١٩٦٤م) .
- العمدة في محاسن الشعر وادابه ونقده ، ابن رشيق القيرواني ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، بيروت ، لبنان ، ط ٤ ، (١٩٧٢) .
- فصول في الادب الاندلسي في القرنين الثاني والثالث للهجرة ، د . حكمة علي الاوسي ، بغداد ، ط ٥ (١٩٨٧م) .

- فنون بلاغية ، د . احمد مطلوب ، الكويت ، ط (١٩٧٥م) .
- فوات الوفيات ، ابن شاكر الكتبي ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، النهضة المصرية (١٩٥٠م) .
- في التصوف الاسلامي ، قمر كيلاني ، المكتبة المصرية ، بيروت (١٩٦١م) .
- في التصوف الاسلامي وتأريخه ، رينولد نيكلسون ، تعريب ابو العلا عفيفي ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر (١٩٥٦م) .
- في الميزان الجديد محمد مندور ، القاهرة ، ط ٢ ، د . ت .
- القاضي عياض الاديب ، عبد السلام الشاقور ، نشر دار الفكر المغربي ، ط١ (١٩٨٣)
- القصائد الهاشميات ، الكميت بن زيد الكوفي ، تصحيح محمد شاكر الخياط ، مصر ، مطبعة الموسوعات (د . ت) .
- قصة الادب في الاندلس ، محمد عبد المنعم خفاجة ، بيروت (١٩٦٢) .
- الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالاندلس من شعراء المائة الثامنة ، تأليف لسان الدين ابن الخطيب ، تحقيق د . احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت (١٩٦٣م) .
- لسان العرب ، ابن منظور ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، دار صادر ، بيروت (١٩٥٥م) .
- لسان الميزان ، لابن حجر العسقلاني ، مطبعة الاعلمي ، دار الفكر ، بيروت .
- لمع الادلة ، عبد الملك الجويني ، تحقيق فوقية حسين ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، ط ١ (١٩٦٥م) .
- المجموعة النبهانية في المدائح النبوية ، يوسف بن اسماعيل النبهاني ، بيروت ، المطبعة الادبية (١٣٢٠ هـ) .

- الدائع النبوية في الادب العربي ٠ د ٠ زكي مبارك ، القاهرة ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر (١٩٦٧م) ٠
- المرشد الى فهم اشعار العرب وصناعتها ٠ عبد الله الطيب المجذوب ، دار الفكر ، بيروت ، ط ٢ (١٩٧٠م) ٠
- مسند احمد بن حنبل ، تحقيق احمد محمد شاكر ، دار المعارف ، القاهرة (١٩٥٦) ٠
- المطرب من اشعار اهل المغرب ٠ لذي النسبين عمر بن حسين بن دحية الكلبي ، تحقيق ابراهيم الابياري والدكتور حامد عبد المجيد ود ٠ احمد بدوي ، مراجعة الدكتور طه حسين ، المطبعة الاميرية ، القاهرة (١٩٥٤م) ٠
- معالم تاريخ المغرب والاندلس ٠ د ٠ حسين مؤنس ، دار المستقبل ، القاهرة ، ط ١ ، (١٩٨٠م) ٠
- المعجب في تلخيص اخبار المغرب ٠ عبد الواحد المراكشي ، تحقيق محمد سعيد العريان ، القاهرة ، ط ١ (١٩٤٩) ٠
- معجزة القرآن والطوفان بين العلم والايمان ، المهندس سعد حاتم محمد مسرزة ، مطبعة الحوادث ، بغداد ، ط ١ / ١٩٩٥ ٠
- المعجم الادبي ٠ عبد النور جبور ، بيروت ، دار العلم للملايين (١٩٧٩م) ٠
- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ٠ الدكتور احمد مطلوب ، بغداد (١٩٨٣) ٠
- ملامح الشعر الاندلسي ٠ د ٠ عمر الدقاق ، بيروت ، دار الشروق (١٩٧٨) ٠
- ميزان الذهب في صناعة شعر العرب ٠ احمد الهاشمي ، مكتبة الثقافة ، علي الحنبي بغداد ، العراق (١٩٧٩) ٠

- النهوض المغربي في الادب العربي ، عبد الله كنون الحسني ، المطبعة المهدية ، تطوان (د ، ت) .
- النثر الفني واثر الجاحظ فيه ، د ، عبد الحكيم بلبع ، لجنة البيان العربي ، القاهرة ط ٢ (١٩٦٩) .
- نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان ، ابن الاحمر ، دراسة وتحقيق محمد رضوان الداية ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان (د ، ت) .
- نفاضة الجراب في غلالة الاغتراب ، لسان الدين ابن الخطيب ، تحقيق الدكتور احمد مختار العبادي ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية ، دار النشر المغربية ، د ، ت .
- نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، احمد بن محمد المقرى التلمساني ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ، دار صادر (١٩٦٨) .
- نهاية الاندلس وتاريخ العرب المتنصرين ، عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ط ٤ ، (١٩٨٧) .
- الوافي بالوفيات ، صلاح الدين الصفدي ، اعتناء احسان عباس ، ط ٢ (١٩٨٢) .
- الوفا باحوال المصطفى ، عبد الرحمن بن الجوزي ، تحقيق مصطفى عبد الواحد وافي ، دار الكتب الحديثة ، مطبعة السعادة ، مصر (١٩٦٦) .

الدوريات والابحاث

- مجلة اداب الرافدين (المدائح النبوية في عصر الحروب الصليبية) د . ناظم رشيد الموصل ، عدد ١٣ ، سنة (١٩٨١) .
- مجلة البلاغ (مقالات الدكتور محسن جمال الدين) الاعداد (٣ ، ٥ ، ٨ ، ٩ ، ١٠) سنة ١٩٦٧ .
- مجلة الرسالة الاسلامية (القصيدة المباركة الشريفة) الدكتور منجد مصطفى بهجت ، وزارة الاوقاف ، بغداد ، عدد ١٧٦ لسنة (١٩٨٤) .
- مجلة كلية الاداب (دراسة في مولديات ابن الخطيب) عبد الملك الشافي ، تطوان عدد ٢/٢٥٧ .
- مجلة المورد (المعشرات اللزومية نظم مالك بن المرحل) تحقيق هلال ناجي ، وزارة الثقافة والاعلام ، دار الجاحظ ، الجمهورية العراقية ، المجلد التاسع ، العدد الرابع (١٩٨١) .
- بحث الدكتور محسن جمال الدين (الاحتفالات في المواليد النبوية في المغرب والاندلس) بغداد ، دار البصري (١٩٦٧) .